الجزء الثالث عشر

علي بن الحسن الأحمر صاحب الكسائي

قال الجعابي: قال محمد بن يحيى الصولي: الأحمر أبو الحسن على بن الحسن مؤدب الأمين لم يصر إلى أحد قط من التأديب ما صار إليه. وقال محمد بن داوود: الأحمر اسمه على بن المبارك، ومات الأحمر فيما ذكره الصولي عن أحمد بن فرج قال: سمعت أبا سعيد الطوال يقول: مات الأحمر قبل الفراء بمدة، قال: أحسبه سنة أربع وتسعين ومائة، ومات الفراء سنة مائتين وأربع.

وحدث المرزباني قال: روى عبد الله بن جعفر عن علي بن مهدي الكسروي، عن ابن قادم صاحب الكسائي قال: كان الأحمر صاحب الكسائي رجلا من الجند من رجال النوبة على باب الرشيد، وكان يحب علم العربية ولا يقدر على مجالس الكسائي إلا في أيام غير نوبته، وكان يرصد مصير الكسائي إلى الرشيد ويعرض له في طريقه كل يوم، فإذا أقبل تلقاه وأخذ بركابه ثم أخذ بيده ومائاه إلى أن يبلغ الستر، وساءله في طريقه عن المسألة بعد المسألة، فإذا دخل الكسائي رجع إلى مكانه، فإذا خرج الكسائي من الدار تلقاه من الستر وأخذ بيده وماشاه يسائله حتى يركب ويجاوز المضارب ثم ينصرف إلى الباب، فلم يزل كذلك يتعلم المسألة بعد المسألة حتى قوى وتمكن وكان فطناً حريصاً، فلما أصاب الكسائي الوضح في وجهه وبدنه كره الرشيد ملازمته أولاده، فأمر إن يرتاد لهم من ينوب عنه ممن يرتضى به، وقال: إنك كبرت ونحن نحب إن نودعك ولسنا نقطع عنك جاريك، فجعل يدافع بذلك ويتوقى إن يأتيهم برجل فيغلب على موضعه، إلى إن ضيق عليه الأمر وشدد وقيل له: إن لم تأتنا أنت من أصحابك برجل ارتدنا نحن لهم من يصلح، وكان قد بلغه إن سيبويه يريد الشخوص إلى بغداد والأخفش، فقلق لذلك ثم عزم على إن يدخل إلى أولاد الرشيد من لا يخشى ناحيته ومن ليس ممن اشتد من أصحابه، فقال للأحمر: هل فيك خير؟ قال: نعم، قال: قد عزمت إن أستخلفك على أولاد الرشيد، فقال الأحمر: لعلي لا أفي بما يحتاجون إليه، فقال

الكسائي: إنما يحتاجون في كل يوم إلى مسألتين في النحو واثنتين من معاني الشعر وأحرف من اللغة، وأنا ألقنك في كل يوم قبل إن تأتيهم ذلك فتحفظه وتعلمهم، فقال: نعم.
فلما ألحوا عليه قال: قد وجدت من أرضاه، وإنما أخرت ذلك حتى وجدته وأسماه لهم. فقالوا: إنما اخترت لنا رجلاً من رجال النوبة ولم تأت بأحد متقدم في العلم، فقال: ما أعرف أحداً في أصحابي مثله في الفهم والصيانة، ولست أرضى لكم غيره، فأدخل الأحمر إلى الدار وفرش له البيت الذي فيه بفرشٍ حسنٍ، وكان الخلفاء إذا أدخلوا مؤدباً إلى أولادهم فجلس أول يوم أمروا بعد قيامه بحمل كل ما في المجلس إلى منزله مع ما يوصل به ويوهب له.
فلما أراد الأحمر الانصراف إلى منزله دعى له بحمالين فحمل معه ذلك كله مع بز كثير، فقال الأحمر: والله ما يسع بيتي هذا، ومالنا إلا غرفة ضيقة في بعض الخانات ليس فيها من تحفظه غيري، وإنما يصلح مثل هذا لمن له دار وأهل. وكل شيء وما يشاكله، فأمر بشراء دار له وجارية وحمل على دابة ووهب له غلام وأقيم له جار ولمن عنده، فجعل يختلف إلى الكسائي كل عشية ويتلقن ما يحتاج إليه أولاد الرشيد ويغدو عليهم فيلقنهم، وكان الكسائي يأتيهم في الشهر مرة أو مرتين فيعرضون عليه بحضرة الرشيد ما علمهم الأحمر ويرضاه، فلم يزل الأحمر كذلك حتى صار نحويا وجلت حاله، وعرف بالأدب حتى قدم على سائر أصحاب الكسائي، ولم يكن قبل ذلك له ذكر ولا يعرف.
وحدث محمد بن الجهم السمري قال: كنا إذا أتينا الأحمر تلقانا الخدم فندخل قصراً من قصور الملوك فيه من فرش الشتاء في وقته ما لم يكن مثله إلا دار أمير المؤمنين، ويدفع إلينا دفاتر الكاغد والجلود قد صقلت، والمحابر المخروطة والأقلام والسكاكين ويخرج إلينا وعليه ثياب الملوك ينفخ منها رائحة المسك والبخور فيلقانا بوجه منطلق وبشر حسن حتى ننصرف. ونصير إلى الفراء فيخرج إلينا معبساً قد اشتمل بكسائه فيجلس لنا على بابه ونجلس في التراب بين يديه فيكون أحلى في قلوبنا من الأحمر

وجميل فعله. وحدث سلمة قال: كان الأحمر قد أملى على الناس شواهد النحو، فأراد الفراء إن يتممها فلم يجتمع له أصحاب الكسائي كما اجتمعوا للأحمر، فقطع ولم يعرض له. قال عبد الله بن جعفر: أخبرنا غير واحد عن سلمة ابن عاصم صاحب الفراء قال: كان بين الفراء والأحمر تباعد وجفاء، فحج الأحمر فمات في طريق مكة فقيل للفراء: إن الأحمر قد نعى إلى أهله فاسترجع وتوجع وترحم عليه وجعل يقول: أما والله لقد علمته صدوقاً سخياً ذكياً عالماً ذا مروءة ومودة - رضي الله عنه - فقيل له: أين هذا مما كنت تقول فيه بالأمس؟ قال: والله ما يمنعني ما كان بيني وبينه إن أقول فيه الحق، وما تعديت فيه قط في قول، ولا تحريت فيه إلا الصدق قبل والآن.

وأنشد إسحاق الموصلي قال: أنشدني الأحمر غلام الكسائي لنفسه:

وفتيان صدق عـوا لـلـنـدى وفاض السرور بأرض الطرب

وهي أربعة أبيات قال: وقرأت له أيضاً أبياتاً يسيرة ضعيفة.

وقال أبو محمد اليزيدي يهجو الكسائي والأحمر:

أفسد النحو الكسـائ ي وثنى ابن غزالـه

وأرى الأحمر تيسـاً فاعلفوا التيس النخالة

قال ثعلب: كان الأحمر يحفظ الأربعين ألف بيت شاهد في النحو سوى ما كان يحفظ من القصائد، وكان مقدما على الفراء في حياة الكسائي، وله من التصانيف: كتاب التصريف، كتاب تفنن البلغاء.

على بن الحسن الهنائي

المعروف بكراع النمل. منسوب إلى هناءة بن مالك ابن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد أبو الحسن اللغوي مات - أخلى موضعه -. وجدت خطه على المنضد من تصنيفه، وقد كتبه في سنة سبع وثلاثمائة. متقدم العصر في أيام ابن در يد، ذكره محمد ابن إسحاق النديم فقال: هو من أهل مصر وكان كوفيا وأخذ عن البصريين ويعرف بالرواسي قبيلة من الأزد، وكتبه مصر موجودة مرغوب فيها. وقال غيره: له

من التصانيف: كتاب المنضد أورد فيه لغةً كثيرةً مستعملةً وحوشيةً، ورتبه على حروف ألف ياء تاء ثاء إلى آخر الحروف، ثم اختصره في كتاب المجرد، ثم اختصره في كتاب المنجد. وله كتاب أمثلة الغريب على أوزان الأفعال فيه غريب اللغة، وكتاب المصحف، وكتاب المنظم.

على بن الحسن بن فضيل بن مروان

فارسي الأصل، ذكره محمد بن اسحاق النديم وقال: له من الكتب: كتاب الأصنام وما كانت العرب والعجم تعبد من دون الله عز وجل.

على بن الحسن بن عبد الرحمن المقرئ

ذكره محمد بن جعفر التميمي المعروف بابن النجار في تاريخ الكوفة فقال: وانتهى تاريخ قراءة عاصم إلى الطبقة الثامنة، وهو على بن الحسن بن عبد الرحمن المقرئ، وكان شيخاً مباركاً تلقن عليه خلق عظيم، وحدثني أبو الحسن بن سعيد قال: كان يحضر مجلسه فوق ألف نفسٍ في كل يومٍ، وكان السبق من العصر يبيت الناس للدرس، وحفظ خلقاً عظيماً القران، وآخر من شاهدنا منهم أبو العباس محمد بن الحسن بن يونس الهذلي، وكان عجيب المنى لفاظاً بالقران متمكناً من اللسان، وقد قرأ بالسبعة من عدة وجوهٍ، وقرأ بالشواذ أبو الحسين بن أبي بلال البندار، وهو ألف قراءة على بن حسن أحسن تأليفٍ وصنفها أتقن تصنيفٍ. ومن رجال على بن الحسن أبو العباس المعروف بابن المزرفي المخزومي الخراز وكان أحد الأبدال الزهاد، وختم عليه خلق عظيم منهم أبو الحسن السمسماني المعدل.

على بن الحسن يلقب بابن الماشطة

الكاتب، يكنى أبا الحسن، ذكره محمد بن إسحاق وقال: يلقب بابن الماشطة ظلماً، كان في أيام المقتدر، وله صناعة في الخراج وتقدم في الحساب، وله من التصانيف: كتاب جواب المعنت، كتاب الخراج لطيف كتاب تعليم نقض المؤامرات.

قال المرزباني: أبوالحسن على بن الحسن بن الماشطة الكاتب، أحد الكتاب المتصرفين في أعمال السلطان العالمين بأمور الكتبة والخراج، ورأيته شيخاً كبيراً بعد العشر والثلاثمائة، وجاوز التسعين وقال:

إذا عمر الإنسان فأبلغ به عمراً وأجدر
تسعين حـجةً به شكرا
لأن رسول الله قد إلا أن ربي واعد مثله

قال معلنـا: غفـرا

وقال: وكان قد عزل عن عمل كان إليه وحبس:

قالوا حبست فقلت: حبس الكرامة لاحبس الجنـايات
الحبس لاعجب ريث التتبع أو رفع الجماعات
حبس العمالة بعد العزل عادتنا

وله:

إذا ضاق صدري إلى الأخ والإخوان كي أجد الرشدا
بالحديث أفضتـه وإن أظهروه لم أخن لهم عـهـدا
فإن كتموه كـان حـزمـاً مـؤيداً
وقلت اشتركنا في فألزمته نفسي لأن لها الـمـبـدا
الخطايا بذكـره

قال أبو علي التنوخى: حدثني أبو الحسن على بن هشام: سمعت على بن الحسن الكاتب المعروف بابن الماشطة، وهو صاحب الكتاب المعروف بجواب المعنت في الكتابة، وعاش حتى بلغ مائة سنةٍ، وكان قد تقلد مكان أبي في أيام حامدٍ لما غلب على بن عيسى على الأمور قال: سمعت الفضل بن مروان وزير المنتصر بالله بن المتوكل وذكر خبراً وقال في موضع آخر: حدثني أبو الحسن الكاتب المعروف بابن الماشطة وكان يتقلد قديماً العمالات ثم صار من شيوخ الكتاب، وتقلد في أيام حامد بن عباس ديوان بيت المال.

على بن الحسن بن محمد بن يحيى

يعرف بعلأن المصري، ذكره أبو بكر الزبيدي في كتابه فقال: كان نحوياً من ذوي النظر والتدقيق في المعاني، وكان قليل الحفظ لأصول النحو، فإذا حفظ الأصل تكلم عليه فأحسن وجود في التعليل ودقق القول ماشاء، مات في شوال سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة.

على بن الحسن بن حبيب اللغوي

أبو الحسن الصقلي. ذكره ابن القطاع فقال: أحد رجال اللغة المعدودين والعلماء بها المبرزين وممن تناول الرمى البعيد بقرب فهم، وأوضح المبهمات بنور علم، وكان مضطلعاً بنقد الشعر ومعانيه، ناهضاً بأعباء الغريب ومبانيه، فمن شعره قوله:

أهاب الكأس أشربها لأجرأ من أسامة في النزال
وإنـى
أراوغها مراوغة ألاقي عند ذاك شبا

كـأنـي العوالي

على بن الحسن بن حسولٍ

أبو القاسم، من كلام ابن حسول رقعة كتبها إلى الصاحب بن عباد يسترضيه في شيءٍ وجده عليه: مولانا الصاحب الأجل كافي الكفاة كالبحر يتدفق، والعارض يتألق، فلا عتب على من لايرويه سيب غواديه إن يستشرف للرائحات الرواعد من طوله، فيشيم بوارقها ويستمطر سحابها، والله تعالى يديم احياء الخلق بصوب حيائه، وديم إنوائه المنهلة من فتوق سمائه. وكان غاية مارجاه خادمه وتمناه إن يسلم على بلايا أحدقت به، ومنايا حدقت إليه، وأجل نازل أمله، وسيفٍ صقيلٍ تلمظ له، وحين كفاه مولانا من ذلك ماكفاه آخذاً بيديه، وباسطا جناح رحمته عليه، طالبته نفسه بتوقيعه العالي، ليتوقى به وقائع الليالي. فتصدق أدام الله تمكينه عليه بتوقيعين في مدة أسبوعين أنقذاه مغموراً، وأنشراه مقبوراً، وقد أبطرته الآن النعمة، ونزت به البطنة، وأطمعته في توقيعٍ ثالثٍ، فطمع وأصدر كتابه هذا وأنتظر، فإن رآى مولاىً إن يحقق رجاءه ويستغنم دعاءه ودعاء من وراءه فعل إن شاء الله عز وجل، فوقع الصاحب على ظهرها: سيدي أبو القاسم - أيده الله -، قدم حرمةً، وأتبع عثرةً، وأظهر أنابةً، فاستحق إقالةً، فعاد حقه طرياً كان لم يخلق، وظنه قوياً كان لم يخفق، ولو حضر لأظهرت مبسم الرضا عليه، بما أصرفه من مزيد البسطة إليه، وإذا قد غبت فأنت لي يد حق ولسان صدق، فنب في ذلك مناباً يمحو آثار السخط كان لم تشهد، ويرخص أخبار العتب كان لم تعهد، هذا وأحسب توقيعي كافياً فيما أمله، ومغنياً فيما أناله أمله إن شاء الله عز وجل.

على بن الحسن القهستاني

أبو بكر العميد، أحد من أشرق بنور الآداب شمسه، وتقدم وإن تأخر زمانه بالفضل يومه وأمسه، وسما بفضل أدبه كل أفاضل جنسه، مشهور في أهل خراسان، مذكور معروف بينهم لايجهل قدره، ولايطمس بدره. وكان قد اتصل في أيام السلطان محمود ابن سيكتكين بولده محمد بن محمود في أيام أبيه لما قلده الخوزستان، وكان يميل إلى علوم

الأوائل، ويدمن النظر في الفلسفة، فقدح في دينه ومقت لذلك. وكان كريماً جواداً ممدحاً، ولى الولايات الجليلة. وله أشعار فائقة ورسائل رائقة، وكان كثير المزاح، راغبا في اللهو والمراح، له في ذلك خاطر وقاد، وحكايات متداولة. وقد دونت رسائله، وشاعت فضائله، وكان يدمن المزاح حتى في مجلس نظره، وكان يعاتب على ذلك فلا يدعه لغلبة طبعه عليه. وكان قد تولى العرض فجرى يوما بين يديه في مجلس العرض ذكر المعمى فقال: قد كان عندي البارحة جماعة - سماهم - من أهل الأدب، فألقيت عليهم مثالاً يصعب استخراج مثله، فوقفوا فيه وهو:

مليحة القد والأعطاف قد جعلت ... في الحجر طفلا له رأسان في جسد
قد ضيقت منه أنفاس الخناق بلا ... جرمٍ وتضربه ضرباً بلا حرد
فتسمع الصوت منه حين تضربه ... كأنه خارج من ماضغ الأسد

ثم قال: لقد ساءني والله فلان - لرجل أسماه - إذ لم يفهم هذا القدر. فقال له غلام أمرد من أولاد الكتاب كان يتعلم في ديوانه: قد عرفت - أطال الله - بقاء الشيخ العميد هذا المعمى وهو الطبل: فقال له مبادراً كأنه كان قد أعد له ذلك: عهدي بك تستدخل الأعور، فكيف صرت تستخرج الأعمى؟ فخجل الغلام وضحك الحاضرون.

قال ابن عبد الرحيم: وحدثني أبو الفضل قال: بلغني إن القهستاني أنشد مرة بحضرة السلطان محمد بن محمود بيتاً من المعمى فلم يعرفه هو ولاندماؤه وهو:

دقيقة الساق لاعروق لها ... تدوس رزق الورى بهامتها

فقال له محمد: مانفهم هذا ولانعرف شيئاً يشبهه ففسره. قال: هو مغرفة الباقلأني يغرف بها الماء ويهشم برأسها الخبز والثريد وهو رزق الورى، فاستبرده وثقل عليه عدم فهمه له، وهو لعمري مستبرد حقيقةً. قال: وحدثني إن هذا الرجل كان يتميز على أهل خراسان بحسن الأخلاق والسخاء وكثرة المعروف والعطاء، وكان الشعراء يقصدونه دائماً لما اشتهر من سماحته وفائض مروءته، فأنشده بعض الشعراء قصيدةً باردةً غير مرضيةٍ فغفل عنه وأخر صلته، فكتب بيتين في رقعةٍ وسأل الدواتى إن يتركها في دواته، ففعل وكان البيتان:

أبا بكر هجوتك لالطبعي ... فطبعي عن هجاء الناس ناب
ولكني بلوت الطبع فيه ... فإن السيف يبلى في الكلاب

فوقعت بيد العميد بعد أيام، فلما وقف عليها استحسنها وسأل الدواتي عن الرجل فعرفه إياه فأمر بطلبه، فقيل له إنه سافر، فأرسل خلفه من استعاده

من عدة فراسخ، فلما دخل إليه قام له وأكرمه وتلقاه بالإجلال وقال: لوكان مديحك كهجائك لقاسمتك نعمتي، فإني ما سمعت بأحسن من هذين البيتين، ووصله وأحسن جائزته، فاستجرأ الناس عليه وقالوا: إنه لايثيب إلا على الهجاء. قال: وكان أبو بكر القهستاني لهجاً بالغلمان شديد الميل إليهم، وكان لمحمد بن محمود سبعمائة غلامٍ في خيله فعلق العميد أحدهم وأحبه حباً مفرطاً ولم يستجرئ أن يبدى ذلك لما فيه من سوء العاقبة، فاتفق أن عاد الغلمان يوماً من بعض التصيدات فلقيهم العميد في صحن الدار فسلموا عليه وقرب ذلك الغلام منه وكان قد عرف ميله إليه فقرص فخذه، وكان محمد مشرفاً عليهم ينظر إلى ذلك، فنزل واستدعى الخدم وأمرهم بضربه فضربوه ضرباً مسرفاً ثم انفذه إلى العميد وقال له: قد وهبناه منك وصفحنا عن ذنبك، فلو لم يساعدك هذا ألفاً جر على ذلك لما أمكنك فعله، ولكن لاتعد إلى مثل هذا، فاستحيا العميد وقال: هذا أعظم من الضرب والأدب وتأخر عن داره حياءً فانفذ محمد واستدعاه وبسطه حتى زال إنقباضه، وكان محمد لا رأى له في الغلمان ولاميل عنده إليهم، وكان لمعرفته بمحبة العميد لهم لا يزال يهب منه واحداً بعد واحدٍ، وشكا الخدم إلى محمدٍ إن بعض الغلمان الدارية يمكن باقي الغلمان من وطئه ولايمتنع عليهم من الغشيان فقال: أيفعل هذا طبعاً أم يستجعل عليه؟ فقالوا: بل يستجعل عليه، فتقدم بإخراجه وإنفاذه إلى العميد وقال: قولوا له هذا بك أشبه لابنا، فخذه مباركاً لك فيه، وقال أبو بكر العميد في الميمندي وزير محمود:

ولقد سئمت من الوزي ر ومـن ذويه زائدة
وغسلت من معروفهم كلتـا يدي بـواحـدة
وضربتهم عرض الجدا ر فليس فيهـم فـائدة

ومن مشهور قوله:

ومعقرب الأصداغ في خديه ورد ينـتـثـر

لاعبته بالكعـبـتـي ن مسامحاً حتى قمر
فازداد حسناً وجـهـه لما رأى حسن الظفر
فنعرت نعرة عاشـق قمر القمر قمر القمر

وله:

ومقرطق في صحن غرة وجهه متصرف صرف الجمال وتحته
عاقرته أسكرتـه قـبـلـتـه جدلته فقحـتـه سـرحـتـه

وله من أبيات كان يغني بها في حضرة الأمير محمد بن محمود:

قم يا خليلي فـاسـقـنـي كشعاع خدك من شـراب
فلقد يمـر الـعـيش مـن قرضاً ولامر السـحـاب
فانعم بعيشك ماستـطـع ت ولاتضع شرخ الشباب
فلكم أضعت من الـشـبـا ب ومااستفدى سوى اكتئاب

قال ابن عبد الرحيم: ثم ورد العميد إلى بغداد في أوائل سني نيفٍ وعشرين وأربعمائةٍ، ومدح أمير المؤمنين القادر بالله والأجل عميد الرؤساء أبا طالب بن أيوب كاتبه، ثم خرج من بغداد، وبلغني الآن في سنة إحدى وثلاثين إنه اتصل بالملوك السلجوقية الغز المتملكين على خراسان وخوارزم والجبل، وإنهم عرضوا عليه الخدم الجليلة فاختار منها ما يظن معه سلامة العاقبة والخلاص من التبعة، ومن قصيدته في القادر:

ولم يرني ذو منةٍ غير خالـقـي وغير أمير المؤمنين بـبـابـه
غنينا بلا دنيا عن الخلق كلـهـم وإن ما الغنى إلا عن الشيء لابه

ومما بلغني من شعره:

رأيت عماراً وليتى لم أره حاز لتلك الطلعة المنكرة
لاأحمد الله على خلـقـه فلو أراد الحمد ما صوره

وله يهجو ابن كثير العارض:

فلسنا نرجى الخير من ابن واحدٍ فكيف نرجيه من ابن كـثـير

وله فيه:

وطول بـلا طـولٍ وعرض بلا عرض

وهجاه بأبيات تصحف:

مالي وهذا العارض شيخ العميد وماله
بن كثـيرٍ يشـنـانـي
وهو الفؤاد بروحـه ويتـيه أين رأيتـه
وأحـبـه ورانــي
ويغض من قدري ذكري ويخفي في
ويخمل جاهداً الجنان جناني
يريد في الخنان خناني.

على بن الحسن بن الوحشي،

النحوي الموصلي أبو الفتح. قال السلفي: أنشدني أبو الفرج هبة الله ابن محمد بن المظفر بن الحداد الكاتب بثغر آمد قال: أنشدني ابن الوحشي النحوي لنفسه:

أبكي على الربع قد سكانه أو كان مازلت
أقوى كأني من أعـمـره
لاتلحني في بكائيه لم ألفه هاجري يوماً
فـسـاكـنـه فأهـجـره

على بن الحسن السنخي

بن علي بن أبي الطيب، الباخرزي السنخي أبو الحسن، - وقال: أبو الحسن البيهقي كنية الباخرزي أبو القاسم وهو الصحيح -. وباخرز من نواحي نيسابور، ذكره العماد الكاتب في الخريدة فقال: وهو الذي صنف كتاب دمية القصر في شعراء العصر، قال: وطالعت هذا الكتاب بأصفهان في دار الكتاب التي لتاج الملك بجامعها، وبعثني ذلك على تأليف كتابي هذا، - يعني كتابه الذي نقلت هذا منه، وسماه خريدة القصر في شعراء العصر -. قال: ومات في سنة سبع وستين وأربعمائة. قال: قتل في مجلس إنس بباخرز وذهب دمه هدراً قال: وكان واحد دهره في فنه، وساحر زمانه في قريحته وذهنه، صاحب الشعر البديع، والمعنى الرفيع، وأثنى عليه قال: ولقد رأيت أبناء العصر بأصفهان مشغوفين بشعره، متيمين بسحره، وورد إلى بغداد مع الوزير الكندري، وأقام بالبصرة برهة ثم شرع في الكتابة معه مدة، واختلف إلى ديوان الرسائل وتنقلت به الأحوال في المراتب والمنازل، وله ديوان كبير ومما أورده في دمية القصر لنفسه:

ولقد جذبت إلى فوجدتها جرارة
عقرب صدغها مـجـرورة
وكشفت ليلة جلوة فرأيتها ممكارةً
عن ساقهـا مـمـكـورةً

قال: ومما أنشدت من شعره قوله:

زكاة رؤس الناس يقول رسول الله
في عيد فطرهم صاع من البـر
ورأسك أغلى قيمةً بفيك علينا فهو صاع
فتـصـدقـي مـن الـدر

وقال في عذار غلام يكتب خطاً مليحاً:

وقد قلت لما فاق في الحسن خط

خط عـذاره يمينه المستملحا
من يكتب الخط فلنفسه لاشك يكتب
المليح لـغـيره أمـلـحـا

وله:

قالوا التحى ومحا وكساه ثوب مذلةً
الإله حماله ومـحـاق
كتب الزمان على هذا جزاء معذب
محاسن خده العـشـاق

وله:

ما أنت بالسبب نجح الأمور بقوة
الضعيف وإنما الأسـبـاب
فاليوم حاجتنـا إلـيك يدعى الطبيب لكثرة
وإنـمـا الأوصاب

وله:

يروقك بشراً وهو تخاف شباه وهو
جذلان مثلـمـا غضبان محـنـق
كذا السيف في وفي متنه ضـوء
أطرافه الموت كامن يروق ورونـق

وله:

قالت وقد ساءلت لاقيته من حاضـرٍ أو
عنها كل من بـادي
أنا في فؤادك فارم ترني فقلت لها وأين
طرفك نحوه فـؤادي

وقال يصف الشتاء والبرد:

لبس الشتاء من فالبس فقد برد
الجليد جـلـودا الزمـان بـرودا
كم مؤمن قرصته فغدا لأصحاب الجحيم
أظفار الشتـا حسـودا
وترى طيور الماء في تختار حر النار
أرجائهـا والـسـفـودا
فإذا رميت بسؤر عادت عليك من
كأسك في الهوا العقيق عقـودا
يا صاحب العودين لا حرق لنا عوداً وحـرك
تهملهـمـا عـوداً

ومن غير كتاب الخريدة مما روى له:

إنسان عيني قط ما من ماء وجه ملحت

يرتوى عينه
كذلك الإنسان من شرب ماء ملحت
مـايرتـوى عينه

قال السمعاني: ولما ورد إلى بغداد مدح القائم بأمر الله بقصيدته التي صدرها ديوانه وهي:

عشنا إلى إن رأينا كل الشهور وفي
في الهوى عجبـا الأمثال عش رجبا
أليس من عجب إنى أوقدت من ماء دمعي
ضحى ارتحلًوا في الحشا لهبا
وإن أجفان عيني وإن ساحة خدى
أمـطـرت ورقـاً أنبـتـت ذهـبـا
وإن تلهب برق من توقد الشوق في
جـوانـبـهـم جنبي والتـهـبـا

قال: فاستهجن البغداديون شعره وقالوا: فيه برودة العجم، فأنتقل إلى الكرخ وسكنها وخالط فضلاءها وسوقتها مدةً وتخلق بأخلاقهم، واقتبس من اصطلاحاتهم ثم أنشأ قصيدته التي أولها:

هبت على صباً تكـاد إني إليك من الحبيب
تـقـول رسـول
سكرى تجشمت من علتي وهبوبها
الربى لتزورني تـعـلـيل

فاستحسنوها وقالوا: تغير شعره ورق طبعه، ومن شعره:

حمل العصا للمبتلـى بالشيب عنوان البلـى
وصف المسافـر إنـه ألقى العصا كي ينزلا
فعلى القياس سبيل من حمل العصا إن يرحلا

وذكر أبو الحسن بن أبي القاسم زيد البيهقي في كتاب مشارب التجارب، وأخبار الوزير أبي نصر الكندري - وكندر قرية من أعمال طريثيث - قال: كان الشيخ على بن الحسن الباخرزي شريكه في مجلس الإفادة من الإمام الموفق النيسابوري في سنة أربع وثلاثين وأربعمائة، فجاءه الشيخ على بن الحسن فقال مداعباً:

أقبل من كندر للنحس في وجهه
مـسـيخـرة علامات
يحضر دور الأمير وهو موضع أمثاله
فتىً الخـرابـات

فهو جحـيم ودبـره سـعةً كجنة عرضها السـمـوات

قال: وكان أول عمل الكندري حجبة الباب ثم تمكن في أيام السلطان طغرلبك وصار وزيرا محكماً تمكن أيام السلطان طغرلبك وصار وزيراً محكماً فورد عليه الشيخ على بن الحسن وهو ببغداد في صدر الوزارة في ديوان السلطان، فلما رآه الوزير قال له: أنت صاحب أقبل؟ فقال له: نعم، فقال الوزير: مرحباً وأهلاً فإني قد تفاءلت بقولك أقبل، ثم خلع عليه قبل إنشاده وقال له: عد غداً وأنشد، فعاد في اليوم الثاني وأنشد هذه القصيدة:

أقوت معاهدهـم بـشـط الـوادى فبقيت مقـتـولاً وشـط الـوادى

وسكرت من خمر الفراق ورقصت عيني الدموع على غناء الحـادي

ومنها:

في ليلة من هجره شتـوية ممدودةٍ مخضوبةٍ بمـداد

عقمت بميلاد الصباح وإنها في الامتداد كليلة المـيلاد

ومنها:

غر الأعادي منه رونق بشره وأفادهم برداً على الأكبـاد

هيهات لايخدعهم إيمـاضـه فالغيظ تحت تبسـم الأسـاد

فالبهو منه بالبهاء مـوشـح والسرح منه مورق الأعواد

وإذا شياطين الضلال تمردوا خلاهم قرناء في الأصفـاد

فلما فرغ من إنشاد هذه القصيدة قال عميد الملك لأمراء العرب: لنا مثله في العجم، فهل لكم مثله في العرب؟ ثم أمر له بألف دينار مغربية قال: وكان السلطان طغرلبك قد بعث وزيره الكندري وكيلا في العقد على بنت خوارزمشاه فوقع إرجاف ورفع إلى السلطان إن عميد الملك زوجها من نفسه وخان، وكان من أمرهما ماكان، فتغير رأس السلطان عليه فحلق عميد الملك لحيته وجب مذاكيره حتى سلم من سياسة السلطان، فمدحه الشيخ على بن الحسن بهذا النقصان وما سبقه بهذا المعنى أحد حيث قال:

قالوا محا السلطان سمة الفحول وكان عنه بعدكـم قرماً صائلا

قلت اسكتوا فالآن لما اغتدى عن إنثييه زاد فحـولةً عـاطـلا

فالفحل يأنف إن إنثى لذلك جذه يسمى بعضـه مسـتـأصـلا

ولما قتل السلطان البرسلان الوزير أبا نصر الكندري قال الباخرزي يخاطب السلطان:

وعمك أدناه وأعلى محـلـه وبوأه من ملكه كنفاً رحـبـا
قضى كل مولى منكم حق عبده فخوله الدنيا وخولته العقبـى

قال المؤلف: وهذا المعنى لطيف ومقصد ظريف، فلله در الشعراء وقرائحهم والأدباء ومنائحهم قال البيهقي: ومن العجائب إن الآت تناسل الكندري مدفونة بخوارزم، ودمه مصبوب بمرو الروذ، وجسده مقبور بقرية كندر من طريثيث، وجمجمته ودماغه مدفونان بنيسابور، وشواته محشوة بالتبن وقد نقلت إلى كرمان فدفنت هناك. وقال على بن الحسن الباخرزي في ذلك:

مفترقاً في الأرض أجزاؤه بين قرىً شتـى وبـلـدان
جب خـوارزم مـذاكـيره طغرلبك ذاك الملك الفاني
ومص مرو الروذ من جيده معصفراً يخضبها قـانـي
فالشخص في كندر مستبطن وراء أرما سٍ وأكـفـان
ورأسه طار ولهفى علـى مجثمه في خير جثـمـان
خلوا بنيسابور مضمـونـه وقحفه الخالي بكـرمـان
والحكم للجبار فيما مضى وكل يوم هو في شـان

وقال في قصيدة له فائقة يمدح فقيها الشريف ذا المجدين أبا القاسم على بن موسى بن إسحاق بن الحسين بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن على ابن أبي طالب عليهم السلام، نقيب الطالبيين بمرو - وفيها ما يدل على إن كنية الباخرزي أبو القاسم - أولها:

حيالك من تحت ذيل الحبى شعاع كحاشية المشرفى

ويقول فيها:

وسقت الركائب حتى أنخـن بسبط الأنامل سبط النـبـي
على بن موسى مواسى العفاة أبي القاسم السيد الموسـوى

ومنها:

نماه الفخار إلى جده علي فطار بجدٍ على
ولايتأشب عيص إذا هو لم يكن ابن السرى
أبا القاسم ياقسيم السخاء إذا جف ضرع الغمام الحبى
وفدت إليك مع الوافدين وفود البشارة غب النعي
وزارك منى سمي كي فراع حقوق السمي الكني
فهذي القصيدة بكر تصل على نحرها حصيات الحلي
جعلت هواك جهازاً لها فجاءتك مائسةً كالهدى
سحرت بها ألسن السامرين ولم أترك السحر للسامري
ولما نشرت أفاويقها طوى الناس ديباجة البحتري

وقرأت بخط أبي سعد لأبي القاسم الباخرزي وكناه أبا الحسن:

يا فالق الصبح من لألأ غرته وجاعل الليل من أصداغه سكنا
لاغرو إن أحرقت نار الهوى كبدى فالنار حق على من يعبد الوثنا

وأنشد له وكناه أبا القاسم:

كتبت وخطى حاش وجهك شاهد بان بناني من أذى السقم مرتعش
ونفسي إن تأمر تعش في سلامة فأهد لها منك السلام ومرتعش

على بن الحسن بن علي بن صدقة

الوزير ابن الوزير أبو الحسن، لم يستقل بالوزراة إنما ناب عن أبيه، وكان أبوه وزير المسترشد، وكان في أبيه كفاية وشهامة، وهو أول من تولى الوزارة من بين صدقة، وكان أبوه يلقب جلال الدولة، وهو يلقب شرف الدولة، ولما مات جلال الدولة دخل الأقفاصى الشاعر الموصلي إلى قبره وقال وهو يبكى:

نزورك في ثوبي خشوعٍ وذلةٍ كانك ترجى في الضريح وترهب

ونلثم تراباً من رفيعٍ محـجـبٍ كما يلثم البيت الرفيع المحجـب
وترثى بما قد كنت ممتدحـاً بـه فيحزننا منك الذي كان يطـرب

ومات جلال الدولة في جمادى الآخرة سنة ثلاث و ثلاثين وخمسمائة. وأما شرف الدولة فقال السمعاني في تاريخه: هو غزير الفضل وافر العقل، له معرفة باللغة، حسن الخط مليحه، دين خير مشغول بالعبادة والعزلة، سمع بقراءتي بمكة والمدينة وبغداد على المشايخ، وسمع أبا القاسم الربعي، كتبت عنه وسألته عن مولده فقال: في محرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة. قلت أنا وهو الذي بنى الرباط المعروف برباط الدرجة على دجلة بالجانب الغربي، واعتزل فيه مع جماعة من الفقراء وترك الولايات إلى إن مات، وهو صاحب الخط المليح المنسوب على طريقة على بن هلال بن البواب، ومات في سابع صفرٍ سنة أربعٍ وخمسين وخمسمائةٍ.

على بن الحسن بن عنتر بن ثابت

المعروف بشميمٍ الحلى، أبو الحسن النحوي اللغوي الشاعر، مات في ربيع الأخر سنة إحدى وستمائة. أخبرني به العماد بن الحدوس العدل، وبمنزله مات بالموصل عن سن عالية، وهو من أهل الحلة المزيدية. قدم بغداد وبها تأدب، ثم توجه تلقاء الموصل والشام وديار بكر، وأظنه قرأ على أبي نزار ملك النحاة. قال مؤلف الكتاب: وكنت قد وردت إلى آمد في شهور سنة أربع وأربعين وخمسمائة، فرأيت أهلها مطبقين على وصف هذا الشيخ، فقصدت إلى مسجد الخضر ودخلت عليه فوجدته شيخا كبيراً قضيف الجسم في حجرة من المسجد، وبين يديه جامدان مملوء كتباً من تصانيفه فحسب، فسلمت عليه وجلست بين يديه، فأقبل على وقال: من أين أنت؟ قلت من بغداد: فهش بي وأقبل يسائلني عنها وأخبره، ثم قلت له: إنما جئت لأقتبس من علوم المولى شيئاً، فقال لي: وأي علم تحب؟ قلت له: أحب علوم الأدب. فقال إن تصانيفي في الأدب كثيرة وذلك إن الأوائل جمعوا أقوال غيرهم وأشعارهم وبوبوها، وأما أنا فكل ماعندي من نتائج أفكاري، وكنت كلما رأيت الناس مجمعين على

استحسان كتاب في نوع من الآداب استعملت فكري وأنشأت من جنسه ما أدحض به المتقدم. فمن ذلك إن أبا تمام جمع أشعار العرب في حماسته، وأما أنا فعملت حماسةً من أشعاري وبنات أفكاري، - ثم شنع أبا تمام وشتمه -، ثم رأيت الناس مجمعين على تفضيل أبي نواس في وصف الخمر، فعملت كتاب الخمريات من شعري، لو عاش أبو نواس لاستحيا إن يذكر شعر نفسه لو سمعها، ورأيت الناس مجمعين على تفضيل خطب ابن نباتة فصنفت كتاب الخطب فليس للناس اليوم اشتغال إلا بخطبي، وجعل يزري على المتقدمين ويصف ويجهل الأوائل ويخاطبهم بالكلب، فعجبت منه وقلت له: فأنشدني شيئاً مما قلت، فابتدأ وقرأ على خطبة كتاب الخمريات فعلق بخاطري من الخطبة قوله: ولما رأيت الحكمي قد أبدع ولم يدع لأحد من أتباعه مطمعاً، وسلك في إفشاء سر الخمرة ماسلك، آثرت إن أجعل لها نصيباً من عنايتي مع ما إنني على علم الله لم ألمم لها بلثم ثغر إثم مذ رضعت ثدي أمٍ. أو كما قال. ثم أنشدني من هذا الكتاب:

امزج بمسبوك اللجـين	ذهباً حكته دموع عيني
لما نعى ناعى الـفـرا	ق ببين من أهوى وبيني
كانت ولم يقدر لـشـي	ء قبلها إيجـاب كـون
وأحالها التـحـريم لـم	ا شبهت بدم الحـسـين
خفقت لنا شمسان مـن	لآلائها في الخافـقـين
وبدت لنا في كأسـهـا	من لونها في حلـتـين
فاعجب هداك الله مـن	كون اتفاق الضرتـين
في ليلة بـدأ الـسـرو	ر بها يطالبـنـا بـدين
ومضى طليق الراح من	قد كان مغلول الـيدين

ذي زينة الأحياء في الد نيا وزينة كـــل زين

فاستحسنت ذلك، فغضب وقال لي: ويلك ماعندك غير الاستحسان؟ قلت له: فما أصنع يا مولانا، فقال لي: تصنع هكذا؟ ثم قام يرقص ويصفق إلى إن تعب ثم جلس وهو يقول: ما أصنع وقد ابتليت ببهائم لا يفرقون بين الدر و البعر، والياقوت والحجر، فاعتذرت إليه وسألته إن ينشدني شيئاً آخر، فقال لي: قد صنفت كتاباً في التجنيس، سميته أنيس الجليس في التجنيس، في مدح صلاح الدين لما رأيت استحسان الناس لقول البستي فأنا أنشدك منه، ثم أنشدني لنفسه:

ليت من طول بالش جعل العود إلى الزو أترى يوطئني الدهر وأرى أي نور عيني ام نواه وثـوى بـه راء من بعض ثوابه ثرى مسك ترابـه موطئا لي وترى به

ثم أنشدني لنفسه في وصف ساقٍ:

قل لي فدتك النفس قل لي أأدرت خمراً فـي كـؤو مإذا تريد إذاً بقتـلـي? سك هذه أم سم صـل?

وأنشدني غير ذلك مما ضاع من أصله، ثم سألته عمن تقدم من العلماء، فلم يحسن الثناء على أحد منهم، فلما ذكرت له المعرى نهرني وقال لي: ويلك كم تسيء الأدب بين يدي، من ذلك الكلب الأعمى حتى يذكر بين يدي في مجلسي? فقلت: يا مولانا ما أراك ترضى عن أحد ممن تقدم. فقال: كيف أرضى عنهم وليس لهم ما يرضيني? قلت: فما فيهم قط أحد بما يرضيك? فقال: لا أعلمه إلا أن يكون المتنبي في مديحه خاصة، وابن نباتة في خطبه، وابن الحريري في مقاما ته فهؤلاء لم يقصروا. قلت له: يا مولانا قد عجبت إذ لم تصنف مقامات تدحض بها مقامات الحريري، فقال لي: يابني اعلم إن الرجوع إلى الحق خير من التمادي على الباطل. عملت مقاماتٍ مرتين فلم ترضى فغسلتها، وما أعلم إن الله خلقني إلا لأظهر فضل ابن الحريري، ثم سطح في الكلام وقال: ليس في الوجود إلا خالقان: فأحد في السماء وأحد في الأرض، فالذي في السماء هو الله، والذي في الأرض أنا، ثم التفت إلي وقال: هذا كلام لا يحتمله العامة لكونهم لا يفهمونه، أنا لا أقدر على خلق شيء إلا خلق الكلام فأنا أخلقه، ثم ذكر اشتقاق هذه

اللفظة، فقلت له: أيا مولانا؟ أنا رجل محدث وإن لم تكن في المحدث جراءة مات بغصته، وأحب أن أسأل مولانا عن شيءٍ إن أذن، فتبسم وقال: ما أراك تسأل إلا عن معضلة هات ما عندك. قلت: لم سميت بالشميمم؟ فشتمني ثم ضحك وقال: اعلم إنني بقيت مدة من عمري - ذكرها هو ونستيها أنا - لا آكل في تلك المدة إلا الطيب فحسب قصداً لتنشيف الرطوبة وحدة الحفظ، وكنت أبقى أياما لايجيئني الغائط، فإذا جاء كان شبه البندقة من الطين وكنت آخذه وأقول لمن انبسط إليه شمه فإنه لا رائحة له، فكثر ذلك حتى لقبت به، أرضيت يا بن الفاعلة.

هذا آخر ما جرى بيني وبينه، ثم أنشدت له من حماسته:

لا تسرحن الطرف في بقر المها فمصارع الآجال في الآجال
كم نظرةٍ أردت وما أخذت يد ال مصمى لمن قتلت أداة قتال
سنحت وما سمحت بتسليم واق لال التحية فعلة المغتال
أضللت قلبي عندهن ورحت إن شده بذات الضال ضل ضلالي
ألوى بألوية العقيق على الطلو ل مسائلا من لا يجيب سؤالي
تربت يدي في مقصدي من لايدي قودي وأولى لي بها أولى لي
يا قاتل الله الدمى كم من دم أجرين حلا كان غير حلال
أشلين ذل اليتم في الأشبال وفتكن بالأجساد في الأغيال
ونفرن حين نكرن إقبالي ولو إني نفرت لكان من إقبالي
لكن أبي رعى ذمام الحب إن أولى الوفاء قطيعةً من قالى

وأنشدني تقي الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي محمد المعروف بابن الحجاج، وأبو محمد هو الحجاج من شرقي واسط قال: أنشدني أبو الحسن على بن عنتر ابن ثابت الحلوى المعروف بشميم وقد قلت: لا أراك تذم أحداً من أهل العصر فقال لي:

ليس لأحدٍ منهم عندي قيمة، فإنه لا يصلح للذم إلا من يصلح للمدح، أما سمعت قولي في الحماسة:

أصخ إنما مدح الفـتـى لدى الطبن النقريس
وهـجـاؤه ذا تـوءم لـذا
فحيث أنتوى ملقى تراح بها من أينها
المديح عصا الثوى قلص الـهـجـا
ومن ليس أهلاً للمديح فعيناه في عين
ولا الهـجـا الرضا ظلمة العمى
ويزرى بضرغام على ذبخ عنوٍ هر أو
الـغـريف زئيره أغضفٍ عوى

وأنشدني أيضا له:

قالوا نراك بكل فنٍ فعلام حظك من دناك
عـالـمـاً خسيس?
فأجبتهم لاتعجبوا كم ذاد نهزة ليث
وتفـهـمـوا خيسٍ خـيس

حدثني ابن الحجاج تقي الدين قال: اجتمع جماعة من التجار الواسطيين بالموصل على زيارة شميم وتوافقوا على ألا يتكلموا بين يديه خوفاً من زلل يكون منهم، فلما حصلوا بين يديه قال أحدهم: أدام الله أيامك فالتفت إلي وقال: إيش هؤلاء? فإني أرى عمائم كباراً ظننتها على آدميين فسكتوا، فلما قاموا قال له آخر منهم: يا سيدي ادع لنا بشمل الجميع، فغضب وقال: إيش هؤلاء وكيف خلقهم الله? ثم حلف بخالقه وقال: لو قدرت على خلقه مثل هؤلاء إنفث من خلق مثلهم. قال المؤلف: حدثني محمد بن حامد بن محمد بن جبريل بن محمد بن منعة بن مالك الموصلي الفقيه فخر الدين بمرو في سنة خمس عشرة وستمائة، في ربيع الأول منها قال: لما ورد شميم الحلي إلى الموصل بلغني فضله فقصدته لأقتبس من علومه، فدخلت عليه فجرى أمري على ماهو معروف به من قلة الاحتفال بكل أحدٍ، وجرت خطوب ومذاكرات إلى إن قال: ومن العجائب استحسان الناس قول عمرو بن كلثوم:

مشعشعة كان الحص إذا ما الماء خالطها
فيها خرينا

- كذا قال تهكماً - إلا قال كما قلت:

وسالت نطاف الراح في الراح فاغتدى الس سماح إلى راحاتنا فسخينا

ثم أخرج رقعة من تحت مصلاه وقال لي: ما معنى قولي: قلب شطر أعاديك حظ من كفر أياديك؟ فقلت: أكتبها وأفسرها؟ فقال: اكتب، فكتبتها وقلت نعم: شطر أعاديك: ديك وقلبه: كيد، أردت إن الكيد حظ من كفر أياديك، فقال: أحسنت، وكان ذلك سبب إقباله على بعد ما تقدم من إهماله إياي، وأنشدني أبو حامد المذكور قال: أنشدني أبو الحسن على بن الحسن بن عنتر الحلي لنفسه:

أقيلي عثرة الشاكي أقيلي فسولى في سماع نثا رسولى

وإن لم تأذني بفكاك أسري فدليني على صبر جميل

حدثني الأمدي الفقيه قال: بلغني إنه لما قدم الحلي إلى الموصل إنثال إليه الناس يزورونه، وأراد نقيب الموصل - وهو ذو الجلالة المشهورة بحيث لا يخفى أمره على أحد - زيارته فقيل له: إنه لا يعبأ بأحد ولا يقوم من مجلسه لزائر أبداً، فجاءه رجل وعرفه ما يجب من احترام النقيب لحسبه ونسبه وعلو منزلته من الملوك، فلم يرد جواباً، وجاءه النقيب ودخل وجرى على عادته من ترك الاحتفال له ولم يقم عن مجلسه، فجلس النقيب ساعةً ثم انصرف مغضباً، فعاتبه ذلك الرجل الذي كان أشار عليه بإكرامه، فلم يرد عليه جواباً، فلما كان من الغد جاءه وفي يد الحلي كسرة خبزٍ يابسةٍ وهو يعض من جنبها ويأكل، فلما دخل الرجل عليه قال له: بسم الله، فقال له: وأي شيء هاهنا حتى آكل؟ فقال له: يا رقيع من يقنع من الدنيا بهذه الكسرة اليابسة لأي معنىً يذل للناس مع غناه عنهم واحتياجهم إليه.

حدثني الفقيه قال: بلغني إن الحلي قدم إلى أسعرت فتسامع به أهلها فقصدوه من كل فجٍ، وكان فيهم رجل شاعر فأنشده الرجل شعراً استجاده الحلي فقال لقائله: إني أرفع هذا الشعر عن طبقتك، فإن كنت في دعواك صادقاً فقل في معناه الآن شيئاً آخر، ففكر ساعة فقال:

وماكل وقت فيه يسمح خاطري بنظم قريض يقتضي لفظه معنى

ولم يبح الشرع المبين تيمماً بترب وبحر الأرض في ساحةٍ معنا

فقال له الحلي: ويحك اسجد، ويلك اسجد، فإن هذا موضع من مواضع سجدات الشعر، وأنا أعرف الناس بها.

ومما سمعته من قلق فيه وهو من إنشاء خطبة له وهي: الحمد لله فالق قمم حب الحصيد بحسام السحب، صابغ خد الأرض بقاني رشيق يانع العشب، نافخ روح الحياة في صور تصاويرها بسائح القراح العذب، يحي ميت الأرض بإماتة كالح الجدب، لابتسام ثغر نسيم إنفاح الخصب، محيل جسم طبيعة الماء المبارك في أشكال الحب والعنب والزيتون والقضب، جاعلة للأنام والأنعام، ذات الحمل والحلب، محلى جيد الآفلاك بقلائد دراري النجوم الشهب، ومجلى جند الأملاك عن مباشرة

التصرف والكسب، وللقيام بالواجب وأصل التسبيح والتقديس للرب، قابل التوبة من المذنب المنيب وغافر الذنب، الواحد المنفرد بوحدانيته عن ملاءمة قسمة أعداد الحساب والضرب، المستغنى بصمديته عن مسيس الحاجى إلى دواعي الأكل والشرب، الشاهد على خلقه بما يفيضون فيه لألا تصاف بعد ولاقرب، المهيمن على سر اجتراح كل جارحة وخاطر خاطر وتقلب قلبٍ، أحمده على مامنح من موضح بيان بما ألب في سويداء لبٍ، وأشكره على ماجلا من مظلم ظلم جهل، وكشف من كثيف ركام كرب، وأشهد إن لاإله الأ الله وحده لاشريك له شهادةً سالمةً من شوائب النفاق والخب، مؤمنةً قائلها يوم الفزع الأكبر من إيحاش الرهب والرعب، وأشهد إن محمدا عبده المحبو بعقد حبا، خاتم الأنبياء من جميع أصحاب الصحف والكتب، وصفية المنتخب لنصر الدين وإقامة دعوى الإسلام بالبيض القضب والجرد القب والأسد الغلب. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما سنحت الغزالة بأفق شرقٍ وحجبت بغارب غربٍ، صلاة بفتى تكرارعديدها صم الحصا الصلب، ويبيد أربد الترب. عباد الله: من اختلف عليه الأباد باد، ومن تمكنت يد المنون من عنقه إنقاد، ومن تزود التقوى استفاد خير الزاد، ومن بدأ ببره وعاد للمعاد فاز بالأحماد،)يوم تجد كل نفس ماعملت من خيرٍ محضراً، وما عملت من سوء تود لو إن بينها وبينه أمداً ٍ بعيداً، ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد(. اللهم نول آمالنا مناها، وكفل أعمالنا تقاها، وخول أطماعنا رضاها، ولاتشرب قلوبنا هوى دنياها، فإن المعاطب في حبها، وشين المعايب مزرٍ بها، فلا تجعل اللهم مهامنا فيها المنى، وآمنا بأمننا من كيد أمنا الدنا، برحمتك يا أرحم الراحمين، استغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين ولوالدي ولمن علمني

أسماء تصانيف الشيخ علي بن الحسن الشميم الحلي

كتاب النكت المعجمات في شرح المقامات، وكتاب أرى المشتارفي القريض المختار، وكتاب الحماسة من نظمه مجلد، وكتاب مناح المنى في إيضاح الكنى أربع كراريس، وكتاب درة التأميل في عيون المجالس والفصول مجلدان، وكتاب نتائج الإخلاص في الخطب

مجلد، وكتاب إنس الجليس في التجليس مجلد، وكتاب أنواع الرقاع في الأسجاع، وكتاب التعازي في المزاري مجلد، وكتاب خطب نسق حروف المعجم كراسان، وكتاب الأماني في التهاني مجلد، وكتاب المفاتيح في الوعظ كراسان، وكتاب معاياة العقل في معاناة النقل مجلد، وكتاب الإشارات المعرية مجلد، وكتاب المرتجلات في المسجلات أربع كراريس، وكتاب المخترع في شرح اللمع مجلد، وكتاب المحتسب في شرح الخطب مجلد، وكتاب المهتصر في شرح المختصر مجلد، وكتاب التحميض في التغميض كراسان، وكتاب بداية الفكر في بدائع النظمم والنثر مجلدان، وكتاب خلق الآدمي كراسان، وكتاب رسائل لزوم مالا يلزم كراسان، وكتاب اللزوم مجلدان، وكتاب لهنة الضيف المصحر في الليل المسحر كراسان، وكتاب متنزه القلوب في التصحيف كراس، وكتاب المنائح في المدائح مجلدان، وكتاب نزهة الراح في صفات الأفراح كراسان، كتاب الخطب المستضيئة، كتاب حرز النافث من عيث العائث، كتاب الخطب الناصرية، كتاب الركوبات مجلدان، كتاب شعر الصبي مجلد، كتاب إلقام الألحام في تفسير الأحلام، كتاب سمط الملك المفضل في مدح المليك الأفضل، كتاب مناقب الحكم في مثالب الأمم مجلدان، كتاب اللماسة في شرح الحماسة، كتاب الفصول الموكبية يشتمل على أربعين فصلاً، وكتاب مجتنى ريحانة الهم في استئناف المدح والذم، كتاب المناجاة.

علي بن الحسن بن عساكر،

الحافظ الدمشقي نقلت من جزء عمله ولده أبو محمد القاسم بن علي في أخبار والده فقال: هو أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله ابن الحسين، أبو القاسم بن أبي محمد بن أبي الحسن بن أبي محمد بن أبي على الشافعي الحافظ، أحد أئمة الحديث المشهورين والعلماء المذكورين، ولد في المحرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة، ومات في الحادي عشر من رجب سنة إحدى وسبعين وخمسمائة، وقد بلغ من السن اثنتين وسبعين سنةً وستة أشهرٍ وعشرة أيامٍ، وحضر جنازته بالميدان والصلاة عليه الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب - رحمه الله

.-
قال العماد: وكان الغيث قد احتبس في هذه السنة فدر وسح عند ارتفاع نعشه، فكان السماء بكت عليه بدمع وبله وطشة. وسمعه أخوه سنة خمس وخمسمائة، وسمع هو بنفسه من والداه وأبي محمد الأكفاني وذكر خلقاً من شيوخ دمشق، ورحل إلى العراق في سنة عشرين وخمسمائة، وأقام بها خمس سنين، وسمع ببغداد من أبي القاسم بن الحصين وغيره، وحج في سنة إحدى وعشرين، وسمع بمكة ومنىً والمدينة وبالكوفة وأصبهان القديمة واليهودية ومرو الشاهجان ونيسابور وهراة وسرخس وأبيورد وبطان والري وزنجان، وذكر بلاداً كثيرةً يطول على ذكرها من العراق وخراسان والجزيرة والشام والحجاز.
قال: وعدة شيوخه ألف وثلاثمائة شيخ، ومن النساء بضع وثمانون امرأةً، وحدث ببغداد ومكة ونيسابور وأصبهان وسمع منه جماعة من الحفاظ ممن هو أسن منه.
وروى عنه أبو سعد بن السمعاني فأكثر، وروى هو عنه. ولما دخل بغداد سمع الدرس بالنظامية مدة مقامه بها، وعلق مسائل الخلاف على الشيخ أبي سعد اسماعيل بن أبي صالح الكرماني، وأنتفع بصحبة جده أبي الفضل في النحو والعربية، وجمع وصنف، فمن ذلك: كتاب تاريخ مدينة دمشق وأخبارها وأخبار من حلها، أوردها في خمسمائة وسبعين جزءا كم تجزئة الأصل، والنسخة الجديدة ثمانمائة جزءٍ، كتاب الموافقات على شيوخ الأئمة الثقات اثنان وسبعون جزءاً، كتاب الأشراف على معرفة الأطراف ثمانية وأربعون جزءا، كتاب تهذيب المتلمس من عوالي مالك ابن إنس أحد وثلاثون جزءاً، كتاب التالي لحديث مالك العالي تسعة عشر جزءاً، كتاب مجموع الرغائب مما وقع من أحاديث مالك الغرائب عشرة أجزاءٍ، كتاب المعجم لمن سمع منه أو أجاز له اثنا عشر جزءاً، كتاب من سمع منه من النسوان جزء واحد، كتاب معجم أسماء القرى والأمصار التي سمع بها جزء واحد، كتاب مناقب الشبان خمسة عشر جزءاً، كتاب فضل أصحاب الحديث أحد عشر جزءاً، كتاب تبيين كذب المفتري

على الأشعري عشرة أجزاء، كتاب المسلسلات عشرة أجزاءٍ، كتاب تشريف يوم الجمعة سبعة أجزاءٍ، كتاب المستفيد في الأحاديث السباعية الأسانيد أربعة أجزاءٍ، كتاب السداسيات جزء واحد، كتاب الأحاديث الخماسيات وأخبار أبي الدنيا جزء واحد، كتاب تقوية المنة على إنشاء دار السنة ثلاثة أجزاءٍ، كتاب الأحاديث المتخيرة في فضائل العشرة، كتاب من وافقت كنيته كنية زوجته أربعة أجزاءٍ، كتاب الأربعين الطوال ثلاثة أجزاءٍ، كتاب أربعين حديثاً عن أربعين شيخا من أربعين مدينةً جزءان، كتاب الأربعين في الجهاد جزء واحد، كتاب الجواهر واللإلئ في الأبدال العوالي ثلاثة أجزاء: كتاب فضل عاشوراء والمحرم ثلاثة أجزاء، كتاب الاعتزاز بالهجرة جزء واحد، كتاب المقالة الفاضحة للرسالة الواضحة جزء واحد، كتاب رفع التخليط عن حديث الأطيط جزء واحد، كتاب الجواب المبسوط لمن ذكر حديث الهبوط جزء واحد، كتاب القول في جملة الأسانيد في حديث المؤيد ثلاثة أجزاء، كتاب طرق حديث عبد الله بن عمر جزء، كتاب من لا يكون مؤتمناً لا يكون مؤذناً جزء واحد، كتاب ذكر البيان عن فضل كتابة القران جزء واحد، كتاب دفع التثريب على من فسر معنى التثويب جزء، كتاب فضل الكرم على أهل الحرم جزء واحد، كتاب الإقتداء بالصادق في حفر الخندق جزء واحد، كتاب الإنذار بحدوث الزلازل ثلاثة أجزاء، كتاب ثواب الصبر على المصاب بالولد جزان، كتاب معنى قول عثمان: ما تعنيت ولا تمنيت جزء، كتاب مسلسل العيدين جزء واحد، كتاب حلول المحنة بحصول الابنة جزء واحد، كتاب ترتيب الصحابة في مسند أحمد جزء واحد، كتاب ترتيب الصحابة في مسند أبي يعلى جزء، كتاب معجم الشيوخ النبلاء جزء واحد، كتاب أخبار أبي عمر الأوزاعي وفضائله جزء، كتاب ما وقع للأوزاعي من العوالي جزء، كتاب أخبار أبي محمد سعد بن عبد العزيز وعواليه جزء، كتاب عوالي حديث سفيان الثوري وخبره أربعة أجزاء، كتاب إجابة السؤال في أحاديث شعبة جزء واحد، كتاب روايات ساكني داريا ستة أجزاءٍ، كتاب من نزل المزه وحدث بها جزء واحد، كتاب أحاديث جماعة من كفر سوسيه جزء واحد،

كتاب أحاديث صنعاء الشام جزءان، كتاب أحاديث أبي الأشعث الصنعاني ثلاثة أجزاء، كتاب أحاديث حنش والمطعم وحفص الصنعانيين جزء، وكتاب فضل الربوة والنيرب ومن حدث بها جزء، كتاب حديث أهل قرية الحمريين وقبيبات جزء واحد، كتاب حديث أهل فذايا وبيت أرانس وبيت قوفا جزء، كتاب حديث أهل قرية البلاط جزء، كتاب حديث سلمة أبن على الحسني البلاطي جزءان ومن حديث يسرة بن صفوان وابنه وابن ابنه جزء واحد، ومن حديث سعد ابن عبادة جزء، ومن حديث أهل رندين وجبرين جزء واحد. ومن حديث أهل بيت سواى جزء، ومن حديث رومة ومسرابا والقصر جزء، ومن حديث جماعة من أهل حرستا جزء، ومن حديث أهل كفر بطنا جزء، ومن حديث أهل دقانية وجخراء وعين توما وجديا وطرميس جزء واحد، ومن حديث جماعة من أهل جوبر جزء واحد، ومن حديث جماعة من أهل بيت لهيا جزء واحد، ومن حديث يحيى بن حمزة البتلهى وعواليه جزء، ومجموع من حديث محمد بن يحيى بن حمزة الحضرمي البتهلي جزءان، وفضائل مقام إبراهيم، ومن حديث أهل برزة جزء، ومن حديث أبي بكر بن محمد بن رزق الله المنيني المقرئ جزء، ومجموع من أحاديث جماعة أهل بعلبك جزءان. قال: وأملي رحمه الله أربعمائة مجلس وثمانية مجالس في فن واحد، وخرج لشيخه أبي غالب بن البنائي أحد عشر مشيخةً، ومشيخةً لشيخه أبي المعالي عبد الله بن أحمد الحلواني الأصولي جزأين، وخرج أربعين حديثاً مساواة الإمام أبي عبد الله القراوي في جزءٍ، ومصافحةً لأبي سعدٍ السمعاني وأربعين حديثاً في جزءٍ، وخرج لشيخه الإمام أبي الحسن السلمي سبعة مجالس وتكلم عليها، وآخر ماصنعه جزء في تكميل الأنصاف والعدل بتعجيل الإسعاف بالعزل، وكتاب فيه ذكر ما وجدت في سماعٍ مما يلتحق بالجزء الرباعي. ووجدت في أصوله علاماتٍ له على مصنفاتٍ عدةٍ منها: كتاب الإبدال ولو تم كان مقداره مائتي جزءٍ أو أكثر، وكتاب فضل الجهاد، ومسند مكحول وأبي حنيفة. وكتاب فضل مكة. وكتاب فضل المدينة. وكتاب فضل البيت المقدس. وكتاب

فضل قريش وأهل البيت والأنصار والأشعريين وذم الرافضة. وكتاب كبير في الصفات وأشياء غير ذلك تبلغ عدتها أربعين مصنفاً. ولما أملى رحمه الله في فضائل الصديق رضي الله عنه سبعة مجالس ثم قطعها بإملاء مجالس في ذم اليهود وتخليدهم في النار، جاء إليه صديقنا أبو علي بن رواحة وقال له: رأيت الصديق في النوم وهو راكب على راحلة فقلت: يا خليفة رسول الله قد أملى علينا الحافظ أبو القاسم سبعة مجالس في فضائلك، فأشار إلي بأصابعه الأربع، فقال له والدي: قد بقي عندي مما خرجت ولم أمله أربعة مجالس فأملاها، ثم أملى في كل واحدٍ من الخلفاء أحد عشر مجلساً، وكان رحمه الله مواظباً على صلاة الجمعة ملازماً لقراءة القران، وكان يختم في رمضان والعشر كل يوم ختمة، ولم ير الأ في الاشتغال بعلمٍ وعبادةٍ يحاسب نفسه على كل لحظة، وكنت أسمع والدي يحكي إن أباه رأى في منامه رؤيا ووالدي حمل إنه يولد لك مولود يحيى الله به السنة، ولما قدم إلى بغداد أعجب به البغداديون وقالوا: قدم علينا من دمشق ثلاثة ما رأينا مثلهم: الشيخ يوسف الدمشقي، والصائن أبو الحسين هبة الله بن الحسن، وأخوه أبو القاسم. وحدثني أبي رحمة الله قال: كنت يوما أقرأ على شيخنا أبي الفتح المختار بن عبد الحميد وهو يتحدث مع جماعة بالعجمية فقال: قدم علينا الوزير أبو علي فقلنا: ما رأينا مثله، ثم قدم علينا أبو سعد بن السمعاني فقلنا: ما رأينا مثله، حتى قدم علينا هذا فلم نر مثله، وقال لنا صاحبه الحافظ أبو المواهب الحسن بن هبة الله بن صصري قال: الحافظ أبو العلاء الحسن بن أحمد المقري الأديب اللغوي إمام همذان وتلك الديار غير مدافع، أنا أعلم إنه لايساجل الحافظ أبا القاسم في شانه أحد، فلو خالط الناس وما زجهم كما أصنع إذاً لاجتمع عليه المخالف والمؤالف، وقال لي يوماً آخر: أي شيءٍ فتح له؟ وكيف بر الناس له؟ فقلت: هو بعيد من هذا كله، لم يشتغل منذ أربعين سنةً إلا بالجمع والتصنيف والمطالعة والتسميع حتى في نزهه وخلواته. فقال: الحمد لله، هذا ثمرة العلم، إلا أنا قد فتح لنا مما حصلنا به الدار والكتب وبناء

المسجد ما يقرب من اثني عشر ألف دينار، وهذا يدل على قلة حظوظ العلماء في بلادكم. ثم قال لي: ما كنا نسمي الشيخ أبا القاسم ببغداد الأ شعلة نار من توقده وذكائه وحسن إدراكه. قال: وقال لي والدي لم أر بدمشق أفهم للحديث من أبي محمد بن الأكفاني، ولا ببغداد مثل أبي الفضل محمد بن ناصر وأبي عامر العبدري، وكان العبدري أحفظهما، ولم أر بخراسان مثل أبي القاسم الشحامى، ولابأصفهان مثل أبي القاسم التيمي الحافظ، وأبي نصر البوياري فقلت له: ما أخالك إلا أفضل منهما، فسكت، هذا آخر ما نقلت من هذا الجزء الذي ألفه ابنه وتركت منه ما اختصرته. وكان الحافظ أبو القاسم بن عساكر يقول شعراً ليس بالقوى، وسمعه تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي النحوي اللغوي فقال. هذا شعر أضاع فيه صاحبه شيطانه ، فقال السعماني في المذيل:

وأنشدني الحافظ أبو القاسم بالمزة من أرض دمشق:

أيا نفس ويحك جاء المشيب فماذا التصابي وماذا الغزل
تولى شبابي كان لـم يكـن وجاء مشيبي كان لـم يزل
فيا ليت شعري فيمن أكون وماقدرالله لي فـي الأزل

قال السمعاني وأنشدني لنفسه ببغداد:

وصاحب خان ما استودعته وأتى مالا يليق بأربـاب الـديانـات
وأظهر السر مختارا بلا سبب وذاك والله من أوفى الجنايات
أما أتاه عن المختار في خبر إن المجالس تغشى بالأمانات

قال السمعاني وأنشدني لنفسه بنيسابور:

لا قدس الله نيسـابـور مـن بـلـد ما فيه من صاحب يسلى ولا سكـن
لولا الجحيم الذي في القلب من حرق لفرقه الأهل والأحباب والـوطـن
لمت من شدة البرد آثار شدته فـي

الذي ظـهـرت ظـاهـر الـبـدن
يا قوم دوموا على عهد إني على العهد لم
الهوى وثقوا أغدر ولم أخـن
ولا تدبرت عيشي بعـد إلا تمثلت بيتـاً قـيل
بـعـدكـم مـن زمـن
فإن أعش فلعل اللـه وإن أمت فقتيل
يجـمـعـنـا الهـم والـحـزن

على بن الحسن بن إسماعيل

ابن أحمد بن جعفر بن محمد بن صالح بن حسان ابن حصن بن معلى بن أسد بن عمرو بن مالك بن عامر بن معاوية بن عبد الله بن مالك بن عامر بن الحارث بن إنمار بن وديعة بن الكيدي بن أقصى بن عبد القيس ابن أقصى بن دعمى بن جديلة بن لبد بن ربيعة بن نزار ابن معد بن عدنان، أبو الحسن العبدري من أهل البصرة يعرف بابن المقلة، هكذا أملى نسبه على جماعةٍ، وهو شيخ فاضل له معرفة بالأدب والعروض، وله كتب وتصانيف في ذلك، ويقول الشعر ويترسل. مات بالبصرة في رابع عشر شعبان سنة تسعٍ وتسعين وخمسمائةٍ، ومولده سنة أربعٍ وعشرين وخمسمائةٍ، سمع بالبصرة أبا محمدً جابر بن محمد الأنصاري، وأبا العز طلحة بن علي بن عمر المالكي، وأبا الحسن على بن عبد الله بن عبد الملك الواعظ، وأبا اسحاق إبراهيم بن عطية الشافعي إمام الجامع بالبصرة وغيره، وقرأ بها الأدب على أبي على الأحمر، وأبي العباس بن الحريري، وأبي العز بن أبي الدنيا، وقدم بغداد مراراً وسمع بها من أبي الكرم المبارك بن الحسن الشهرزوري، وأبي الفضل محمد بن ناصر السلامي، وأبي بكر الزاغوني وغيرهم، وعاد إلى بلده وخرج لنفسه فوائد في عدة أجزاءٍ عن شيخه، وأقرأ الناس الأدب، وكان متحققاً بعلم العروض ونعم الشيخ، وكان محمود الطريقة.
قال أبو عبد الله: أنشدني أبو الحسن على بن الحسن العبدري لنفسه:

شيمتي إن أغض دار إذا ماد خلتهـا
طرفي في ال لـصـديق
وأصون الحديث ني سري ولا أخون
أودعـه صـو رفـيقـي

قال: وأنشدني أيضا لنفسه:

لا تسلك الطرق إذا لو إنها تفضي إلى
أخطرت المملكة
قد أنزل الله تعـالـى: تلقوا بأيديكم إلى
ولا التهـلـكة

علي بن الحسين المسعودي المؤرخ

أبو الحسن، من ولد عبد الله بن مسعود صاحب النبي صلى الله عليه وسلم، ذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: هو من أهل المغرب، مات فيما بلغني في سنة ست وأربعين وثلاثمائة بمصر، قال مؤلف الكتاب: وقول محمد بن إسحاق: إنه من أهل المغرب غلط، لأن المسعودي ذكر في السفر الثاني من كتابه المعروف بمروج الذهب وقد عدد فضائل الأقاليم، ووصف هواها واعتدالها ثم قال: وأوسط الأقاليم إقليم بابل الذي مولدنا به، وإن كانت ريب الأيام أنات بيننا وبينه، وساحقت مسافتنا عنه، وولدت في قلوبنا الحنين إليه إذ كان وطننا ومسقطنا، وقد كان هذا الإقليم عند ملوك الفرس جليلاً، وكانوا يشتون بالعراق، ويصيفون بالجبال. فقال أبو دلف العجلي:

إني أمرؤ كسروي الفـعـال أصيف الجبال وأشتو العراق

وقد كانت الأوائل تشبهه بالقلب في الجسد، لأن أرضه هي التي كشفت الآراء عن أهله بحكمة الأمور كما يرتفع ذلك عن القلب، ولذلك اعتدلت ألوان أهله وامتدت أجسامهم، فسلموا من شقرة الروم والصقالبة وسواد الحبشة وغلظ البربر، واجتمعت فيهم محاسن جميع الأقطار، وكما اعتدلوا في الخلقة لطفوا في الفطنة، وأشرف هذه الأقاليم مدينة السلام ويعز على ما أصارتني إليه الأقدار من فراق هذا المصر الذي عن بقعته فصلنا، لكنه الدهر الذي من شيمته التشتيت، والزمن الذي من شريطته الآفات، ولقد أحسن أبو دلف في قوله:

أيا نكبة الدهر التي طوحت بنـا أيادي سبا في شرقها والمغارب

ومن علامة وفاء المرء: دوام عهده وحنينه إلى إخوانه، وشوقه إلى أوطانه، ومن علامة الرشد: أن تكون النفس إلى مولدها تائقة، وإلى مسقط رأسها شائقة. فهذا يدلك على إن الرجل بغدادي الأصل، وإنما أنتقل إلى ديار مصر فأقام فيها. وهو يحكي في كتبه كثيراً ويقول: رأيت أيام كوني بمصر كيت وكيت، وله من الكتب: كتاب مروج الذهب ومعادن الجواهر في تحف الأشراف والملوك، كتاب ذخائر العلوم وما كان في سالف الدهور، كتاب الرسائل، كتاب الاستذكار لما مر في سالف الإعصار، كتاب التاريخ في أخبار الأمم من العرب والعجم، كتاب التنبيه والأشراف، كتاب خزائن الملك وسر العالمين، كتاب المقالات في أصول الديانات، كتاب أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، كتاب البيان في أسماء الأئمة، كتاب أخبار الخوارج.

علي بن الحسين بن محمد بن الهيثم

ابن عبد الرحمن بن مر وان بن عبد الله بن مر وان بن محمد بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف أبو الفرج الأصبهاني العلامة النساب الأخباري الحفظة، الجامع بين سعة الرواية والحذق في الدراسة، لا أعلم لأحد أحسن من تصانيفه في فنها وحسن استيعاب ما يتصدى لجمعه، وكان مع ذلك شاعراً جيداً، مات في رابع ذي الحجة سنة ست وخمسين وثلاثمائةٍ في خلافة المطيع لله، ومولده سنة أربعٍ وثمانين ومائتين.

روى عن أبي بكر بن در يد وأبي بكر بن الأنباري. والفضل بن الحباب الجمحي، وعلى بن سليمان

الأخفش، وإبراهيم نفطوية.
وجدت على الهامش بخط المؤلف تجاه وفاته ما صورته: وفاته هذه فيها نظر وتفتقر إلى التأمل، لأنه ذكر في كتاب أدب الغرباء من تأليفه: حدثني صديق قال: قرأت على قصر معز الدولة بالشماسية يقول فلان بن فلان الهروي، حضرت هذا الموضع في سماط معز الدولة والدنيا عليه مقبلة، وهيبة الملك عليه مشتملة، ثم عدت إليه في سنة اثنتين وستين وثلاثمائة، فرأيت ما يعتبر به اللبيب يعني من الخراب.
وذكر في موضعٍ آخر من كتابه هذا قصة له مع صبيٍ كان يحبه ذكرتها بعد هذا يذكر فيه موت معز الدولة وولاية ابنه بختيار، وكان ذلك في سنة ست وخمسين وثلاثمائة، ويزعم في تلك الحكاية إنه كان في عصر شبابه فلا أدري ما هذا الاختلاف? - آخر ما كان على الهامش -.
وقال الوزير أبو القاسم الحسن بن الحسن المغربي، في مقدمة ما أنتخبه من كتاب الأغاني إلى سيف الدولة ابن حمدان فأعطاه ألف دينار، وبلغ ذلك الصاحب أبا القاسم بن عباد فقال: لقد قصر سيف الدولة وإنه يستأهل أضعافها، ووصف الكتاب فأطنب ثم قال: ولقد اشتملت خزائني على مائتين وستة الألف مجلد ما منها ما هو سميري غيره، ولا راقني منها سواه.
قال: وقال أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف كاتب عضد الدولة: لم يكن كتاب الأغاني يفارق عضد الدولة في سفره ولا حضره، وإنه كان جليسه الذي يأنس إليه وخدينه الذي يرتاح نحوه.
قال: وقال أبو محمدٍ المهلبي. سألت أبا الفرج في كم جمعت هذا الكتاب? فقال: في خمسين سنةً، قال: وإنه كتبه مرةً واحدةً في عمره، وهي النسخة التي أهداها إلى سيف الدولة.
قال المؤلف: لعمري إن هذا الكتاب لجليل القدر، شائع الذكر، جم الفوائد، عظيم العلم، جامع بين الجد البحت والهزل النحت، وقد تأملت هذا الكتاب وعنيت به، وطالعته مراراً وكتبت به نسخةً بخطي في عشر مجلداتٍ، ونقلت منه إلى كتابي الموسوم بأخبار

الشعراء فأكثرت وجمعت تراجمه فوجدته يعد بشيء ولا يفي به في غير موضع منه، كقوله في أخبار أبي العتاهية: وقد طالت أخباره هاهنا وسنذكر خبره مع عتبة في موضع آخر. ولم يفعل، وقال في موضع آخر: أخبار أبي النواس مع جنان إذا كانت سائر أخباره قد تقدمت. ولم يتقدم شيء إلى أشباه لذلك، والأصوات المائة هي تسع وتسعون، وما أظن إلا أن الكتاب قد سقط منه شيء، أو يكون النسيان قد غلب عليه والله أعلم. قال المؤلف: وتصانيفه كثيرة وهذا الذي يحضرني منها: كتاب الأغاني الكبير، كتاب مجرد الأغاني، كتاب التعديل والانتصاف في أخبار القبائل وإنسابها لم أره، وبودي لو رأيته ذكره هو في كتاب الأغاني، كتاب مقاتل الطالبيين، كتاب أخبار القيان، كتاب الإماء الشواعر، كتاب المماليك الشعراء، كتاب أدباء الغرباء، كتاب الديانات، كتاب تفضيل ذي الحجة، كتاب الأخبار والنوادر، كتاب أدب السماع، كتاب أخبار الطفيليين، كتاب مجموع الأخبار والآثار، كتاب الخمارين والخمارات، كتاب الفرق والمعيار في الأوغاد والأحرار، وهي رسالة عملها في هارون بن المنجم، كتاب دعوة النجار، كتاب أخبار جحظة البرمكي، كتاب جمهرة النسب، كتاب نسب بني عبد شمس، كتاب نسب بني شيبان، كتاب نسب المهالبة، كتاب نسب بني تغلب، كتاب الغلمان المغنين، كتاب مناجيب الخصيان عمله للوزير المهلبي في خصيين مغنيين كانا له. وله بعد تصانيف جياد فيما بلغني كان يصنفها ويرسلها إلى المستولين على بلاد المغرب من بني أمية، وكانوا يحسنون جائزته، ولم يعد منها إلى الشرق إلا القليل والله أعلم.

حدث الرئيس أبو الحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابئ في الكتاب الذي ألفه في أخبار الوزير المهلبي واسمه الحسن بن محمد بن هارون ابن إبراهيم بن عبد الله بن زيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة وزير معز الدولة بن بويه الديلمي قال: وكان أبو الفرج الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني من ندماء الوزير أبي محمد الخصيصين به، وكان وسخاً قذراً لم يغسل له ثوباً منذ فصله إلى

أن قطعه، وكان المهلبي شديد التقشف عظيم التنطس، وكان يحتمل له ذلك لموضعه من العلم.
فقال فيه: كان أبو الفرج على بن الحسين الأصفهاني، أموي النسب عزيز الأدب، عالي الرواية حسن الدراية، وله تصنيفات منها: كتاب الأغاني، وقد أورد فيه ما دل به على اتساع علمه وكثرة حفظه، وله شعر جيد الأ إنه في الهجاء أجود، وإن كان في غيره غير متأخر، وكان الناس في ذلك العهد يحذرون لسانه، ويتقون هجاءه ويصبرون في مجالسته ومعاشرته ومواكلته ومشاربته على كل صعب من أمره، لأنه كان وسخاً في نفسه، ثم في ثوبه ونعله، حتى إنه لم يكن ينزع دراعة الأ بعد إبلائها وتقطيعها، ولا يعرف لشيء من ثيابه غسلاً، ولا يطلب منه في مدة بقائه عوضاً.
فحدثني جدي وسمعت هذا الخبر من غيره لأنه متفاوض متعاود: إن أبا الفرج كان جالساً في بعض لأيام على مائدة أبي محمدٍ المهلبي فقدمت سكباجه وافقت من أبي الفرج سعلةً فبدرت من فمه قطعة من بلغم فسقطت وسط الغضارة، فتقدم أبو محمد برفعها وقال: هاتوا من هذا اللون في غير الصحفة، ولم يبن في وجهه إنكار ولا استكراه، ولا داخل أبا الفرج في هذا الحال استحياء ولا إنقباض. هذا إلى ما يجري هذا المجرى على مضى الأيام، وكان أبو محمد عزوف النفس بعيداً من الصبر على مثل هذه الأسباب، إلا إنه كان يتكلف احتمالها لورودها من أبي الفرج، وكان من ظرفه في فعله ونظافته في مأكله، إنه كان إذا أراد أكل شيء بملعقة كالأرز واللبن وأمثاله وقف من جانبه الأيمن غلام معه نحو ثلاثين ملعقةً زجاجاً مجروداً، وكان يستعمله كثيراً فيأخذ منه ملعقةً يأكل بها من ذلك اللون لقمةً واحدةً، ثم يدفعها إلى غلامٍ آخر قام من الجانب الأيسر، ثم يأخذ أخرى فيفعل بها فعل الأولى حتى ينال الكفاية، لئلا يعيد الملعقة إلى فيه دفعةً ثانيةً، فلما كثر على المهلبي استمرار ما قدمنا ذكره، جعل له مائدتين: إحداهما كبيرة عامة، وأخرى لطيفة خاصة، وكان يواكله عليها من يدعوه إليها.
قال مؤلف الكتاب: وقد ذكر مثل هذا عن أبي رياش

أحمد بن إبراهيم اللغوي وقد ذكرناه في بابه. قال هلال: وعلى صنع أبي محمد بأبي الفرج وما كان يصنعه فما خلا من هجوه حيث قال فيه:

أبعين مفتقـر إلـيك بعد الغنى فرميت بي رأيتـنـي من حالق
لست الملوم أنا أملت للإحسان غير الملوم لأنـنـي الخـالـق

قال ابن الصابئ: وحدثني جدي أيضاً قال: قصدت أنا وأبو علي الأنباري وأبو العلاء صاعد دار أبي الفرج لقضاء حقه وتعرف خبره من شيءٍ وجده، وموقعها على دجلة في المكان المتوسط بين درب سليمان ودرب دجلة، وملاصقة لدار أبي الفتح البريدي، وصعد بعض غلماننا لإيذانه بحضورنا، فدق الباب دقاً عنيفاً حتى ضجر من الدق وضجرنا من الصبر، قال: وكان له سنور أبيض يسميه يققا، ومن رسمه إذا قرع الباب قارع إن يخرج ويصيح إلى إن يتبعه غلام أبي الفرج لفتح الباب أو هو نفسه، فلم نر السنور في ذلك اليوم، فأنكرنا الأمر وازددنا تشوقاً إلى معرفة الخبر، فلما كان بعد أمدٍ طويلٍ صاح صائح إن نعم، ثم خرج أبو الفرج ويده متلوثة بما ظنناه شيئاً كان يأكله فقلنا له: عققناك بان قطعناك عما كان أهم من قصدنا إياك. فقال: لا والله يا سادتي، ما كنت ما تظنون، وإنما لحق يققاً يعني سنورة قولنج. فاحتجت إلى حقنه فأنا مشغول بذلك، فلما سمعنا قوله ورأينا الفعل في يده ورد علينا أعظم مورد من أمره لتناهيه في القذارة إلا مالاغاية بعده وقلنا: ما يجوز إن نصعد إلى عندك فنعوقك عن استتمام هاأنت فيه، وإنما جئناك لتعرف خبرك، وقد بلغنا ما أردناه وانصرفنا. قال: واختاره في كل شيء مريح، وكانت صحبته له قبل الوزارة وبعدها إلى إن فرق بينهما الموت. وكتب أبو الفرج إلى المهلبي يشكر الفأر ويصف الهر:

يا لحدب الظهور قعص لدقـاق الأنـياب الرقـاب والأذنـــاب
خلقت للفساد مذ خـلـق الـخـل ق وللعـيث والأذى والـخـراب

ناقباتٍ في الأرض والسقف والحي طان نقباً أعيا على النقاب
آكلاتٍ كل المآكل لاتأ منها شاربات كل الشراب
ألفاتٍ قرض الثياب وقد يع دلقرض القلوب قرض الثياب
زال همي منهن أزرق تركي ي السبالين إنمر الجلباب
ليث غابٍ خلقاً وخلقاً فمن لا ح لعينه خاله ليث غاب
ناصب طرفه إزاء الزوايا وإزاء السقوف والأبواب
ينتضي الظفر حين يطفر للصي د ولا فظفره في قراب
لا يرى أخبثيه عينا ولا يع لم ما جنتاه غير التراب
قرطقوه وشنفوه وحلو ه أخيراً وأولاً بالخضاب
فهو طوراً يمشي بحلي عروس وهو طوراً يخطو على عناب
حبذا ذاك صاحباً وهو في الصح بة أوفى من أكثر الأصحاب

وحدث القاضي أبو علي الحسن بن علي التنوخي في كتاب نشوار المحاضرة قال: ومن طريف أخبار العادات إني كنت أرى أبا الفرج على بن الحسن الأصفهاني الكاتب نديم أبي محمد المهلبي صاحب الكتب المصنفة في الأغاني والقيان، وغير ذلك دائماً إذا ثقل الطعام في معدته، وكان أكولاً نهماً، يتناول خمسة دراهم فلفلاً مدقوقاً فلا تؤذيه ولاتدمعه، وأراه يأكل حمصةً واحدةً أو يصطبغ بمرقة قدرٍ فيها حمص فيسرهج بدنه كله من ذلك، وبعد ساعةٍ أو ساعتين يفصد، وربما فصد لذلك دفعتين، وأساله عن سبب ذلك فلا يكون عنده علم منه، وقال لي غير مرةٍ: إنه لم يدع طبيباً حاذقاً على مرور السنين الأ سأله عن سببه، فلا يجد عنده علماً ولا دواءً، فلما كان قبل فالجه بسنواتٍ ذهبت عنه

العادة في الحمص فصار يأكله فلا يضره وبقيت عليه عادة الفلفل. ومن كتاب الوزراء لهلال بن المحسن:

وحدث أبو الفرج على بن الحسين الأصفهاني قال: سكر الوزير أبو محمد المهلبي ليلةً ولم يبق بحضرته من ندمائه غيري فقال لي: يا أبا الفرج، أنا أعلم إنك تهجوني سرا فاهجني الساعة جهراً. فقلت: الله الله أيها الوزير في، إن كنت قد مللتني انقطعت، وإن كنت تؤثر قتلي فبالسيف إذا شئت. فقال: دع ذا لابد إن تهجوني وكنت قد سكرت فقلت:

أير بغل بلولب

فقال في الحال مجيزا:

في حر أم المهلبي

هات مصراعا آخر: فقلت: الطلاق لازم للأصفهاني إن زاد على هذا وإن كان عنده زيادة، قرأت بخط أبي على المحسن بن هلال الصابئ صاحب الشامة لأبي الفرج الأصفهاني يهجو أبا الحسن طازاد النصراني الكاتب:

طازاد مشتق من الطـيز — فعد عن ذكر فتى الحوز

كان رجليه إذا مامشى — مخنث يلعب بالشـيز

قرأت بخط هلال بن المظفر الكاتب الزنجاني: حدثني الأستاذ أبو المظفر عبد الغفار بن غنيمة قال: كان أبو الفرج الكاتب الأصبهاني صاحب كتاب الأغاني كاتباً لركن الدولة حظياً عنده محتشماً لديه، وكان يتوقع من الرئيس أبي الفضل بن العميد إن يكرمه ويبجله ويتوفر عليه في دخوله وخروجه، وعدم ذلك منه فقل:

مالك مـوفـور فـمـا بـالـه — أكسبك التيه على الـمـعـدم?

ولم إذا جئت نـهـضـنـا وإن تـتـمـم — جئنا تطاولـت ولـم

وإن خرجنا لم تقل مـثـل مـا — نقـول قـدم طـرفـه قــدم

إن كنت ذا علم فمـن ذا الـذي — مثل الذي تعلـم لـم يعـلـم?

ولست في الغـارب مـن دولة — ونحن من دونك في المنـسـم

وقد ولينـا وعـزلـنـا — أنت فلم نصغر ولم

كـمـا تـعـظـم تكافأت أحـوالـنـا فصل على الأنصاف كـلـهـا أو فاصرم

وقد روى أبو حيان في كتاب الوزيرين من تصنيفه من خبر هذه الأبيات غير هذا، وقد ذكرناها في أخبار ابن العميد من هذا الكتاب: قرأت في بعض المجاميع لأبي الفرج الأصبهاني:

حضرتكم دهراً وفي فما أذن البواب لي الكم تحفة في لقائكم إذا كان هذا حالكم فما حالكم تالله يوم يوم أخذكـم عطائكـم?

قال ابن عبد الرحيم: حدثني أبو نصر الزجاج قال: كنت جالساً مع أبي الفرج الأصبهاني في دكان في سوق الوراقين، وكان أبو الحسن على بن يوسف بن البقال الشاعر جالساً عند أبي الفتح بن الحراز الوراق وهو ينشد أبيات إبراهيم بن العباس الصولي التي يقول فيها:

رأى خلتي من حيث فكانت قذى عينيه يخفى مكانها حتى تجلـت

فلما بلغ إليه استحسنه وكرره ورآه أبو الفرج فقال لي: قم إليه فقل له: قد أسرفت في استحسان هذا البيت، وهو كذاك فأين موضع الصنعة فيه، فقلت له ذاك فقال قوله: وكانت قذى عينيه، فعدت إليه وعرفته. فقال: عد إليه فقل له: أخطأت، الصنعة في قوله: من حيث يخفى مكانها. قال عبيد الله الفقير إليه مؤلف هذا الكتاب: وقد أصاب كل واحد منهما حافة من الغرض فإن الموضعين معاً غاية في الحسن وإن كان ما ذهب إليه أبو الفرج أحسن.

قال أبو الفرج في كتاب الغرباء: وخرجت أنا وأبو الفتح أحمد بن إبراهيم بن علي بن عيسى - رحمه الله - ماضيين إلى دير الثعالب في يوم ذكر إنه من سنة خمس وخمسين وثلاثمائة للنزهة ومشاهدة اجتماع النصارى هناك والشرب على نهر يزدجرد الذي يجري على باب هذا الدير ومعه جماعة من أولاد كتاب النصارى من أحداثهم، وإذا بفتاة كأنها الدينار المنقوش تتمايل وتتثنى كغصن الريحان في نسيم الشمال، فضربت بيدها إلى يد أبي الفتح وقالت يا سيدي: تعال أقرأ هذا الشعر المكتوب على حائط هذا الشاهد، فمضينا معها وبنا من السرور بها وبظرفها وملاحة منطقها ما الله به عليم، فلما دخلنا البيت كشفت عن ذراع كأنه الفضة، وأومأت إلى الموضع فإذا فيه مكتوب:

خرجت يوم عيدها في ثياب الرواهب فتنت باختيالـهـا كل جاء وذاهـب لشقـائي رأيتـهـا يوم دير الثعالـب تتهادى بـنـسـوة كاعب في كواعب هي فيهم كأنها ال بدر بين الكواكب

فقلت لها: أنت والله المقصودة بهذه الأبيات، ولم نشك أنها كتبت الأبيات ولم نفارقها بقية يومنا وقلت لها هذه الأبيات وأنشدتها إياها ففرحت:

مرت بنا في الدير ساحرة الناظـر خمصانة فـتـانة أبرزها الذكران من تعظم الدير خدرها ورهـبـانـه

مرت بنا تخطر في مشيها إنما قامتها بانه :
هبت لنا ريح فمالت بها كما تثنى غصن ريحانه
فتيمت قلبي أحزانه قدماً وهاجت له وأشجانه

وحصلت بينها وبين أبي الفتح عشرة بعد ذلك، ثم خرج إلى الشام وتوفى بها ولا أعرف لها خبرا بعد ذلك.

قال أبو الفرج: وكنت انحدرت إلى البصرة منذ سنياتٍ فلما وردتها أصعدت من الفيض إلى سكة قريش أطلب منزلا أسكنه، لأني كنت غريبا لا أعرف أحداً من أهلها الأ من كنت أسمع بذكره، فدلني رجل على خان فصرت إليه واستأجرت فيه بيتاً وأقمت بالبصرة أياماً، ثم خرجت عنها طالباً حصن مهديٍ وكتبت هذه الأبيات على حائط البيت الذي أسكنه:

الحمد لله على ما أرى من صنعتي من بين هذا الورى
أصارني الدهر إلى حالةٍ يعدم فيها الضيف عندي القرى
بدلت من بعد الغنى حاجةً إلى كلابٍ يلبسون الفرا
أصبح أدم السوق لي مأكلاً وصار خبز البيت خبز الشرا
وبعد ملكي منزلاً مبهجاً سكنت بيتاً من بيوت الكرى
فكيف ألفى لاهياً ضاحكاً وكيف أحظى بلذيذ الكرى?
سبحان من يعلم ما خلفنا وبين أيدينا وتحت الثرى
والحمد لله على ما أرى وانقطع الخطب وزال المرا

قال أبو الفرج: وكنت في أيام الشبيبة والصبا آلف فتىً من أولاد الجند في السنة التي توفى فيها معز الدولة وولى بختيار، وكانت لأبيه حال كبيرة ومنزلة من الدولة ورتبة، وكان الفتى في نهاية حسن الوجه وسلامة الخلق وكرم الطبع، ممن يحب الأدب ويميل إلى أهله، ولم يترك قريحته حتى عرف صدراً من العلم، وجمع خزانة من الكتب حسنةً، فمضت لي معه سير لو حفظت لكانت في كتاب مفرد، من مكاتباتٍ ومعاتباتٍ وغير ذلك مما يطول شرحه. منها ما يشبه ما نحن فيه: إنني جئته يوم جمعةٍ غدوةً

فوجدته قد ركب إلى الحلبة، وكانت عادته إن يركب إليها في كل يوم ثلاثاء ويوم جمعة، فجلست على دكةٍ على باب أبيه في موضعٍ فسيحٍ كان عمرها وفرشها، فكنا نجلس عليها للمحادثة إلى ارتفاع النهار، ثم يدخل إذا أقمت عنده إلى حجرة لطيفة كانت مفردة له، لنجتمع على الشرب والشطرنج وما أشبههما، فطال جلوسي في ذلك اليوم منتظراً له، فأبطأ وتصبح من أجل رهان كان بين فرسين لبختيار، فعرض لي لقاء صديقٍ لي فقمت لأمضى ثم أعود إليه، فهجس لي إن كتبت على الحائط الذي كنا نستند إليه هذه الأبيات:

يا من أظل بـبـاب داره ... ويطول حبسي لانتظـاره
وحياة طرفك واحـوراره ... وجمال صدغك في مداره
لاحلت عمري عن هـوا ... ك ولو صليت بحر نـاره

وقمت فلما عاد قرأ الأبيات وغضب من فعلي، لئلا يقف عليه من يحتشمه، وكان شديد الكتمان لما بيني وبينه، ومطالباً بمثل ذلك مراقبةً لأبيه، الأ إن ظرفه ووكيد محبته لي، وميله إلي لم يدعه حتى أجاب عنها لما كتب تحتها، ورجعت من ساعتي فوجدته في دار أبيه، فاستأذنت عليه، فخرج إلى خادم لهم فقال: يقول لك لا التقينا حتى تقف على الجواب عن الأبيات فإنه تحتها، فصعدت الدكة فإذا تحت الأبيات بخطه: ما هذه الشناعة؟ ومن فسح لك في هذه الإذاعة؟ وما أوجب خروجك عن الطاعة؟ ولكن أنا جنيت على نفسي وعليك، ملكتك فطغيت. وأطعتك فتعديت. وما أحتشم إن أقول هذا تعرض للإعراض عنك والسلام. فعلمت إنني قد أخطأت وسقطت شهد الله قوتي وحركتي، فأخذتني الندامة والحيرة، ثم أذن لي فدخلت فقبلت يده فمنعني وقلت: يا سيدي غلطة غلطتها وهفوة هفوتها، فإن لم تتجاوز عنها وتعف هلكت، فقال لي: أنت في أوسع العذر بعد إن لا يكون لها أخت، وعاتبني على ذلك عتابا عرفت صحته، ولم تمض الأ مديدة حتى قبض على أبيه وهرب فاحتاج إلى الاستتار، فلم يأنس هو وأهله إلا بكونه عندي، فأنا على غفلة إذ دخل في خفة وازار وكادت مرارتي تنفطر فرحا، فلقيه أقبل رجليه وهو يضحك ويقول: يأتيها رزقها وهي نائمة، هذا يا حبيبي بخت من لا يصوم ولا يصلي في الحقيقة، وكان أخف المناس روحا، وأقلعهم لبادرة، وبتنا في تلك الليلة عروسين لانعقل سكرا واصطحبنا وقلت هذه الأبيات:

بت وبات الحبيب ندمـانـي ... من بعد نأي وطول هجران
نشرب قفصية معـتـقة ... بحانة الشط منـذ أزمـان
وكلما دارت الكئوس لـنـا ... ألثمني فاه ثـم غـنـانـي
الحمد للـه لا شـريك لـه ... أطاعني الدهر بعد عصيان

ولم يزل مقيما عندي نحو الشهر حتى استقام أمر أبيه، ثم عاد إلى داره.

وحدث الحسن بن الحسين النعال قال: قال أبو الفرج الأصبهاني: بلغ أبا الحسن جحظة إن مدرك بن محمدٍ

الشيباني الشاعر ذكره بسوءٍ في مجلسٍ كنت حاضره وكتب إلى:

أبا فرجٍ أهجي لديك علي فلا تحمي لذاك ويعتـدى وتغضب
لعمرك ماإنصفتني فكن معتباً إن الأكارم في مودتي تعتـب

قال أبو الفرج: فكتبت إليه:

عجبت لما بلغت عنـي وظنك بي فيه لعمرك بـاطـلا أعجـب
ثكلت إذا نفسي بفقدي ولا أدركت ما وعزي وأسرتـي كنت أطلب
فكيف بمن لاحظ لي وسيان عندي وصله في لـقـائه والتجـنـب
فثق بأخ أصفاك تشاكل منها ما بدا محـض مـودة والـتـغـيب

قال غرس النعمة: حدثني أبي قال: حدثني جدي قال: كان أبو القاسم الجهني القاضي - وأظنه من أهل البصرة وتقلد الحسبة بها ومنها عرف أبا محمد المهلبي وصحبه - يشتمل على آداب يتميز بها الأ إنه كان فاحش الكذب، يورد من الحكايات مالا يتعلق بقبولٍ ولا يدخل في معقول، وكان أبو محمدٍ قد ألف ذلك منه وقد سلك مسلك الاحتمال، وكنا لا نخلو عن حديثه من التعجب والاستطراف والاستبعاد، وكان ذلك لايزيده إلا إغراقاً في قوله وتمادياً في فعله، فلما كان في بعض الأيام جرى حديث النعنع وإلى أي حد يطول، فقال الجهنى: في البلد الفلاني يتشجر حتى يعمل من خشبه السلاليم، فاغتاظ أبو الفرج الأصبهاني من ذاك وقال: نعم عجائب الدنيا كثيرة، ولا يدفع مثل هذا وليبس بمستبدع، وعندي ما هو أعجب من هذا وأغرب، وهو زوج حمام راعبي يبيض في نيف وعشرين يوما بيضتين فانتزعتهما من تحته وأضع مكانهما صنجةً مائةً وصنجةً خمسين، فإذا انتهى مدة الحضان تفقست الصنجتان عن طست وإبريق، أو سطل وكرنيب. فعمنا الضحك وفطن الجهنى لما قصده أبو الفرج من الطنز، وانقبض عن كثير مما كان يحكيه ويتسمح فيه، وإن لم يخل من الأيام من الشيء

بعد الشيء منه. ومن عجيب مامر بي من الكذب حكاية أوردها غرس النعمة عقيب هذه قال: كان لوالدي تاجر يعرف بأبي طالبٍ، وكان معروفاً بالكذب، فأذكر وقد حكى في مجلسه والناس حضور عنده: إنه كان في معسكر محمود بن سبكتكين صاحب خراسان ببخارى معه وقد جاء من البرد أمر عظيم جمد منه المرى حتى قد وفرى وعملت منه خفاف، وإن الناس كانوا ينزلون في المعسكر فلا يسمع لهم صوت ولاحديث ولاحركة حتى ضرب الطبل في أوقات الصلوات، فإذا أصبح الناس وطلعت الشمس وحميت ذاب الكلام فسمعت الأصوات الجامدة منذ أمس من أصوات الطبول والبوقات وحديث الناس، وصهيل الخيول، ونهيق الحمير ورغاء الإبل. قرأت على ظهر جزءٍ من نسخة بكتاب الأغاني لأبي الفرج: حدث ابن عرسٍ الموصلي وكان المترسل بين عز الدولة وبين أبي تغلب بن ناصر الدولة، وكان يخلف أبا تغلب بالحضرة قال: كتب إلى أبو تغلب يأمرني بابتياع كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني فابتعته له بعشرة آلاف درهمٍ من صرف ثمانية عشر درهماً بدينار، فلما حملته إليه ووقف عليه ورأى عظمة وجلالة ما حوى قال: لقد ظلم وراقه المسكين، وإنه ليساوي عندي عشرة آلاف دينارٍ، ولو فقد لما قدرت عليه الملوك الأ بالرغائب، وأمر أن يكتب له نسخةً أخرى ويخلد عليها اسمه فابتدأ بذلك، فما أدري أتمت النسخة أم لا? قال أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد: اتصل بي أن مسودة كتاب الأغاني وهي أصل أبي الفرج أخرجت إلى سوق الوراقين لتبتاع، فأنفذت إلى ابن قرابة وسألته إنفاذ صاحبها لأبتاعها منه لي، فجاءني وعرفني إنها بيعت في النداء بأربعة آلاف درهمٍ، وإن أكثرها في طروسٍ وبخط التعليق وأنها اشتريت لأبي أحمد بن محمد بن حفصٍ فراسلت أبا أحمد فأنكر أنه يعرف شيئاً من هذا فبحثت كل البحث فما قدرت عليها. كان الراضي بالله في سنة سبعٍ وعشرين وثلاثمائةٍ قد ولى أبا عبد الله البريدي، وكان قد خرج عليه بنواحي البصرة الوزارة، فتحدث الناس أن الراضي إنما قصد بتقليد أبي عبد الله الوزارة طمعاً في إيقاع الحيلة عليه في تحصيله،

فقال أبو الفرج على بن الحسين الأصبهاني في ذلك قصيدةً طويلةً تزيد على مائة بيتٍ يهجو فيها أبا عبد الله، ويؤنب الراضي في توليته وطمعه فيه أولها:

يا سماء اسقطي ويا أرض ميدي — قد تولى الوزارة ابن البـريدي
جل خطب وحل أمر عـضـال — وبلاء أشـاب رأس الـولـيد
هد ركن الإسلام وأنتهك المـل — ك ومحيث آثاره فهـو مـودي
أخلقت بهجة الزمان كـمـا أن — هج طول اللباس وشتى البرود

يقول فيها:

وتوهمت أن سيخدعـه ذا — ك فيغتاله اصطياد الصيود
هو أزنى مما تقـدر أمـا — ليس مما يصاد بالتقـلـيد

فانتهت هذه القصيدة إلى أبي عبد الله البريدي، فلما بلغ البيت الأخير ضحك وضرب بيديه ورجليه وقال: لو عرف أبو الفرج ما في نفسي وأزال الوحشة وصار إلى، لبالغت في صلته والآفضال عليه من أجل هذا البيت.

قال الحميدي: وقد ذكر صاحب كتاب النشوار أبو علي المحسن بن علي القاضي: أنه حضر مجلس أبي الفرج الأصبهاني صاحب كتاب الأغاني، فتذاكروا موت الفجاءة، فقال أبو الفرج: أخبرني شيوخنا أن جميع أحوال العالم قد اعترت من مات فجاءةً، الأ أنني لم أسمع من مات على منبرٍ.

قال أبو علي المحسن: وكان معنا في مجلس أبي الفرج شيخ أندلسي قدم من هناك لطلب العلم، ولزم أبا الفرج يقال له أبو زكريا يحيى بن مالك بن عائذٍ، وكنت أرى أبا الفرج يعظمه ويكرمه ويذكر ثقته، فأخبرنا أبو زكريا إنه شاهد في المسجد الجامع ببلدةٍ من الأندلس خطيب البلد وقد صعد يوم الجمعة ليخطب، فلما بلغ يسيراً من خطبته خر ميتاً فوق المنبر حتى أنزل به، وطلب في الحال من رقى المنبر فخطب وصلى الجمعة بنا، الأ أن أبا علي قلب نسبة زكريا فقال: يحيى بن عائذ بن مالك الأندلسي: والصواب ما قلنا.

قال الثعالبي: ومن قوله في المهلبي:

ولما انتجعنا عائذين بظـلـه — أعان وماعنى ومن وما منى
وردنا عليه مقترين فراشنـا — وردنا نداه مجدبين فأخصبنا

وقوله من قصيدة يهنئه بمولود من سريةٍ روميةٍ:

أسعد بمـولـودٍ أتـاك مـبـاركـاً — كالبدر أشرق جنح ليلٍ مـقـمـر
سعد لوقت سـعـادةٍ — أم حصان من نـبـات

جـاءت بـه الأصـفـر
متبجح في ذروتي بين المهلب منتـمـاه
شـرف الـعـلا وقـيصـر
شمس الضحى قرنت حتى إذا اجتمعا أتت
إلى بدر الدجى بالمشـتـري

وأنشد له في عيديةٍ:

إذا ما علا في الصدر وبثهما في النفع منه
والنهى والأمر وفي الـضـر
وأجرى ظبا أقـلامـه بديهته كالمستمـد
وتـدفـقـت مـن الـبـحـر
رأيت نظام الدر في ومنشوره الرقراق
نظـم قـولـه في ذلك النـثـر
ويقتضب المعنى ويأتي بما تحوي
الكثير بـلـفـظةٍ الطوامير في سطر
أيا غرة الدهر ائتنف وقابل هلال الفطر
غرة الشـهـر في ليلة الفطـر
بأيمـن إقـبـالٍ وأسـعـد وأفضل ما ترجوه من
طـائرٍ أفسح العمـر
مضى عنك شهر بطهرك فيه
الصوم يشهد صادقاً واجتنـابـك لـلـوزر
فأكرم بما خط وأثنى به المثنى
الحفيظان منـهـمـا وأطرى به المطري
وزكتك أوراق إلى الله منهما طول
المصاحف وانتـهـى درسك والذكـر
وقبضك كف البطش وبطشكها بالعرف
عن كل مجـرمٍ والخير والـبـر
وقد جاء شوالٌ صيام الـنـعـيم مـن
فشالـت نـعـامة ال الـضــر
وضجت حبيس الدن ولامت على طول
من طول حبسها التجنب والهجـر
وأبرزها من قعر أسـود كإشراق بدر مشرق
مـظـلـمٍ اللون كالبـدر
إذا ضمهـا والـورد فـوه فلا فرق بين اللون
وكـفـه والطعم والنشـر
وتحسبه إذ سلسل على الكوكب الدري

الكأس نـاظـمـاً سمطاً من الدر

وله فيه يهنئه بإبلاله من مرض:

أبا محمدٍ المحـمـود إحسان والجود يا بحر
ياحـسـن ال الندى الطامي
حاشاك من عود عواد دواء داءٍ ومـن
إلـيك ومـن إلــمـــام الأم

وله:

يا فرجة الهم بعد يافرحة الأمن بعد
الـيأس مـن فـرجٍ الروع مـن وهـل
أسلم ودم وابق وامللك وأعط وامنع وضر
وانم واسـم وزد وأنفع وصل وصل

وله في القاضي الأيذجي وكان التمس منه عكازةً فيم يعطه إياها:

اسمع حديثي تسمع لاشيء أظرف منها
قصةً عجـبـاً تبهر القصصا
طلبت عكازةً للوحل ورمتها عند من يخبا
تحمـلـنـي العصا فعصا
وكنت أحسبه يهوي وكنت أحسبه يهوي
عصا عصـبٍ بكل عـصـا

وله في قصيدة يستميح المهلبي:

رهنت ثيابي وحال ء دون القضاء وصد
الـقـضـا الـقـدر
وهذا الشتاء كمـا قـد عسوف على قـبـيح
تـرى الأثـر
يغادي بصرٍ من ت أو دمق مثل وخـز
العـاصـفًـا الإبـر
وسكـان دارك مـمـن ل يلقين من برده
أعـو كـل شـر
فهـذي تـحـن وهـذي وأدمع هاتيك تـجـري
تـئن درر
إذا ما تململن تحـت يعللن منك بحسن
الـظـلام الـنـظـر
ولاحظن ريعك ين شاموا البروق
كالممـحـلـي رجاء المطر
يؤملن عودى بما كما يرتجى آئب من
ينـتـظـرن سـفـر

علي بن الحسين بن هندو

أبو الفرج الكاتب الأديب المنشئ الشاعر من البراعة، ومستخدمي البراعة، وأعيان أهل البلاغة، له رسائل مدونه وفضائل متعينة مختاره، يفضله أهل بلده على كثير من أقرانه. قال أبو علي التنوخي: كان أحد كتاب الإنشاء في ديوان عضد الدولة قال: وشاهدت عدة كتب كتبها عنه بخطه. وقال أبو الفضل البندنيجي الشاعر: هو من أهل الرى قال: وشاهدته بجرجان في سني بضع عشرة وأربعمائةٍ كاتباً بها، وأنه مشهور في تلك البلاد بجودة الشعر وكثرة الأدب والفضل.

قال أبو جعفر أحمد بن محمد بن سهل الهروي: كان أبو الفرج ابن هندو صاحب أبوةٍ في بلده، ولسلفه نباهة بالنيابة وخدمة السلطان هناك، وكان متفلسفا قرأ كتب الأوائل على أبي الحسن الوائلي بنيسابور، ثم على أبي الخير أبن الخمار، وورد بغداد في أيام أبي غالب بن خلف الوزير فخر الملك ومدحه واتفق اجتماعي معه وأنسى به، وكان يلبس الدراعة على رسم الكتاب، وأنشدني لنفسه:

لايؤيسنك من مجدٍ تباعده ... فإن للجد تدريجاً وترتيبا
إن القناة التي تنمى وتنبت أنبوباً ... شاهدت رفعتها فأنبوبا

قال أبو الفضل البندنيجي: سمعته ينشد لنفسه:

يا سيف إن تدرك بحاشية اللوى ... ثاراً أكن لمديح طبعك ناظما
أجعل قرابك فضةً مسبوكةً ... وأصغ عليك من الزبرجد قائما
ما أرضعتك صياقلي ماء الردى ... إلا لترضعني الدماء سواجما

قال: وحضرت معه في مجلس أبي غانم القصري الناظر، - كان في الدواوين بجرجان على البريد - فعمل بديهاً ما دفعه إلى المغنى فغنى به:

يا هاجراً لي بغير جرمٍ ... مستبدل الوصل بالصدود
أضنيت جسمي فلم تغادر ... مني دليلاً على الوجود

وله أيضا:

كل مالي فهو رهن مالـه ... من فكاكٍ في مساءٍ وابتكار
ففؤادي أبداً رهن هوىً ... وردائي أبداً رهن عقار
فدع التفنيد يا صاح لنا ... إنما الربح لأصحاب الخسار
لو ترى ثوبي مصبوغاً بها ... قلت ذمى تبدى في غيار
ولقد أمرح في شرخ ... مرح المهرة في ثني

الصبا العذار

وله أيضا:

ضعت بأهل الرى في أهلهـا ضياع حرف الراء في اللثغة

صرت بها بعد بلوغ المـنـى أحمد إن تبلغ بي الـبـلـغة

وله أيضا:

إذا ما عقدنا نعمةً عند جاحـدٍ ولم نره إلا جموحاً عن الشكر

رجعنا فعفينا كذاك يجازى صاحب الجمـيل بـضـده الشر بالشر

هذا عكس قول ابن الرومي

أحسن إليه إذا أساء فأنـتـمـا من ذي الجلال بمسمعٍ وبمنظر

وله أيضاً:

وكافرٍ بالمعاد أمـسـى يخلبني، قوله الخلـوب

قال اغتنم لذة الليالـي وعد عـن آجـل يريب

ضل هذه وجـاء يهـدي طب لعينيك يا طبـيب

أأخطأ العالمـون طـراً وأنت من بينهم مصيب?

وله أيضاً:

كدأبك كل لا يرى غير نفسه فعش واحداً واضربهم بفراق

زمان تجافى أهله سياة قسيٍ مالهن تـلاقـي فكأنـهـم

وله أيضاً:

تعانقنا لـتـوديعٍ عـشـاءً وقد شرقت بمدمعها الحداق

وضيقنا العناق لفرط شـوقٍ فما ندرى عناق أم خناق?

وتحدث أبو الفضل البندنيجي الشاعر قال: كان بابن هند ضرب من السوداء، وكان قليل القدرة على شرب النبيذ لأجل ذلك، واتفق إنه كان يوماً عند أبي الفتح بن أبي عليٍ حمدٍ كاتب قابوس بن وشمكير وأنا معه على عادةٍ كانت لنا في الاجتماع، فدخل أبو عليٍ إلى الموضع ونظر إلى ما كان بأيدينا من الكتب وتناشد هو وابن هندوالشعر،

وحضر الطعام فأكلنا انتقلنا إلى مجلس الشراب، ولم يطق ابن هندوالمساعدة على ذلك، فكتب في رقعةٍ كتبها إليه:

قد كفاني من صالحتني النهى
المـدام شـمـيم وثاب الغريم
هي جهد العقول مثل ما قيل لـلـديغ
سمى راحـاً سـلـيم
إن تكن جنة النعيم من أذى السكر
فـفـيهـا والخمار جحيم

فلما قرأها ضحك وأعفاه من الشرب. وأنشد أبو الفضل له:

قالوا اشتغل عنهم وخادع النفس إن
يوماً بغيرهم النفس تنخدع
قد صيغ قلبي على فما لحب سواهم فيه
مقدار حبهم متسـع

وحدث أبو الفضل البندنجي قال: أنشدت يوماً أبا الفتح بن أبي عليٍ حمدٍ قول ابن المعتز:

سعى إلى الدن ساقٍ توشح بالمنديل
بالمبزال يبقره حين وثب
لما وجاها بدت صهباء كأنما قد سيراً من
صافيةً أديم ذهب

ومثله قول ابن سكرة:

ثم وجاها بشبا مبـزلٍ فاستل منها وتراً
مذهبا

فقال: قول ابن هندو أحسن:

وساقٍ تقلد لـمـا أتـى حمائل زق ملاه
شمولا
فلله درك من فـارس تقلد سيفاً يقد
العقـولا

قال: فجاذبت ابن هندو من بعد وقد اجتمعت معه الأبيات وقلت له: إن قولك حمائل الزق فيه بشاعة، وما رأيت أحداً تقلد زقاً فقال: أهل العراق يصرفون الكلام ونحن نورده على أصله.

وحدث أبو الفضل البندنيجي قال: كان ابن هندو يشرب يوماً عند أبي غانم القصري واقتصر على أقداحٍ يسيرةٍ ثم أمسك، فسأله الزيادة فلم يفعل وقال:

أرى الخمر ناراً فإن شربت أبدت
والنفوس جواهراً طباع الجواهر
فلا تفضحن النفس إذا لم تثق منها
يوماً بشربهـا بحسن السـرائر

وله أيضا:

تعرض لي الدنيا بلذة وزخرف موشيٍ من

مـطـعـمٍ اللبس رائق
أرادت سفاهاً إن على فكرٍ خاضت بحار
تموه قبحـهـا الدقائق
فلا تخدعينا قتلنا نهانا في طلاب
بالسـراب فـإنـنـا الحـقـائق

وحدث البندنيجي قال: كان الناس يظنون بمنوجهر أبن قابوس ما كان في أبيه من الأدب والفضل ولم يكن كذلك، فلما أنتقل الأمر إليه قصد بما يقصد به مثله، وكان لا يوصل إليه إلا القليل، ولا يتقبل ما يمدح به، ولا يهش من هذا الجنس لتباعده عنه، وكان مع هذه الحالة فروقةً قليل البطش، فمدحه ابن هندو بقصيدةٍ وتانق فيها، وأنشده إياها فلم يفهمها ولم يثبه عليها فقال:

يا ويح فضلي أما في يحنو على أما في
الناس من رجل الأرض من ملك؟
لأكرمنك يا فضلـي وأسـتـهـين بـالأيام
بـتـركـهـم والـفـلـك

فقيل لمنوجهر: إنه قد هجاك، لأن لقبه كان فلك المعالي، فطلبه ليقتله فهرب إلى نيسابور وانفلت منه، وله:

حللت وقاري في شادنٍ عيون الأنام به تعـقـد
غدا وجهه كعبةً للجمال ولى قلبه الحجر الأسود

علي بن الحسين بن موسى

ابن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب عليهم السلام، نقيب العلويين أبو القاسم الملقب بالمرتضى، علم الهدى، السيد المشهور بالعلم، المعروف بالفهم، ولد سنة خمس وخمسين وثلاثمائةٍ، ومات سنة ستٍ وثلاثين وأربعمائةٍ، وهو أكبر من أخيه الرضي وقال أبو جعفر الطوسى: توحد المرتضى في علوم كثيرة، مجمع على فضله، مقدم في العلوم مثل علم الكلام والفقه، وأصول الفقه، والأدب، والنحو، والشعر، ومعاني الشعر واللغة وغير ذلك، وله ديوان شعرٍ يزيد على عشرة آلاف بيتٍ، وله من التصانيف ومسائل البلدان شيء كثير يشتمل على ذلك فهرسته غير أني أذكر أعيان كتبه وكبارها منها: كتاب الشافي في الإمامة، كتاب المغني لعبد الجبار بن أحمد وهو كتاب لم يصنف مثله في الإمامة، كتاب الملخص في الأصول لم يتمه، كتاب الذخيرة في الأصول تام، وكتاب جمل العلم والعمل تام، وكتاب الغرر، وكتاب التنزيه، وكتاب المسائل الموصلية الأولى، وكتاب المسائل الموصلية الثانية، كتاب المسائل الموصلية الثالثة، وكتاب المقنع في الغيبة، وكتاب مسائل الخلاف في الفقه لم يتم، كتاب الانتصار فيما انفردت به الأمامية، كتاب مسائل مفرداتٍ أصول الفقه، كتاب المصباح في الفقه لم يتم، كتاب المسائل الطرابلسية الأولى، وكتاب المسائل الطرابلسية الأخيرة، وكتاب مسائل أهل مصر الأولى، وكتاب مسائلهم الأخيرة، وكتاب المسائل الحلبية الأولى، وكتاب المسائل الحلبية الأخيرة، كتاب المسائل الناصرية في الفقه، وكتاب المسائل الجرجانية، وكتاب المسائل الطوسية لم يتم، وكتاب البرق، وكتاب طيف الخيال، وكتاب الشيب والشباب، كتاب تتبع أبيات المعاني للمتنبي التي تكلم عليها ابن جنيٍ في الحكاية والمحكي، وكتاب النقض على ابن جنيٍ في الحكاية والمحكي، وكتاب نص الرواية وإبطال القول بالعدد، وكتاب الذريعة في أصول الفقه، وكتاب تفسير قصيدة السيد، وله مسائل مفردات نحو مائة مسألة في فنون شتى، وكتاب المسائل الصيداوية. قال

أبو جعفر الطوسي: قرأت أكثر هذه الكتب عليه وسمعت سائرها. ومن شعره المذكور في تتمة اليتيمة:

يا خليلي من ذؤابة بكرٍ في التصابي رياضة الأخلاق
غنياني بذكرهم واسقياني دمعي بكأس دهاق
وخذا النوم عن تطربانـي قد خلعت الكرى على العشاق
جفوني فإني

وله في ذم المشيب:

يقولون لا تجزع من الشيب ضلةً وأسهمه إياي دونهم تصمى
وما سرني حلم يفئ إلى الردى كفاني ما قبل المشيب من الحلم
إذا كان ما يعطيني الحزم سالباً حياتي فقل لي كيف ينفعني حزمي?
وقد جربت نفسي الغداة وقاره فماشد وهني ولاسد من ثلمي
وإني مذ أضحى أعاد بلا سقمٍ وأجفى بلا جرم عذارى قراره

وله في مرثية:

كم تطيش سهام الموت مخطئةً عني وتصمى إخلائي وإخواني
ولو فطنت وقد أردى الزمان أخي علمت أن الذي أصماه أصماني
سود وبيض من الأيام لونهما لا يستحيل وقد بدلن ألواني
هيهات: حكم فينا أزلم جدع يفنى الورى بين جذعان وفرحان

ذكر غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال بن المحسن الصابئ في كتاب الهفوات قال: اجتاز المرتضى أبو القاسم يوم جمعةٍ على باب جامع المنصور بحيث يباع الغنم، فسمع المنادي يقول: نبيع هذا التيس العلوي بدينار، فظن أنه قصده بذلك، فعاد إلى داره وتألم إلى الوزير مما جرى عليه، فكشف فوجد أن التيس إذا كان في رقبته حلمتان متدليتان سمى علوياً تشبيهاً بضفيرتي العلوي المسبلتين على

رقبته. نقلت من خط الحافظ الإمام أبي نصرٍ عبد الرحيم ابن النفيس بن وهبان - وفقه الله - قال: نقلت من خط الإمام أبي بكرٍ محمد بن منصورٍ السمعاني - رحمه الله - قال: سمعت أبا الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي يقول: سمعت أبا القاسم بن برهان يقول: دخلت على الشريف المرتضى أبي القاسم العلوي في مرضه الذي توفى فيه، فإذا قد حول وجهه إلى الجدار فسمعته يقول: أبو بكرٍ وعمر وليا فعدلا، واسترحما فرحما، فأنا أقول: ارتداً بعد إن أسلما، قال: فقمت وخرجت فما بلغت عتبة الباب حتى سمعت الزعقة عليه، ومن شعره ما نقلته من خط تاج الإسلام في المذيل:

وزارت وسادي في المنام خريدة تمانع صبحاً أن أراها بناظري ولما سرت لم تخش وهناً ضلالةً فماذا الذي من غير وعدٍ أتى بها وقالوا عساها بعد زورة باطلٍ

أراها الكرى عيني ولست أراها وتبذل جنحاً إن أقبل فاها ولاعرف العذال كيف سراها ومن ذا على بعد المزار هداها؟ تزور بلا ريبٍ فقلت عساها

وأنشد له فيه.

وطرقتني وهناً بأجواز الفلا وطروقهن على الفلا تخييل

في ليلةٍ وافى بها متمنع ودنت بعيدات وجاد بخيل

يا ليت زائرنا بفاحمة الدجى لم يأت إلا والصباح رسول

فقليلة وضح الضحى مستكثر وكثيرة غبش الظلام قليل

ماعابه وبه السرور زوالهفجميع ما سر القلوب يزول

ومن خطبه: سمعت أبا العلاء أحمد بن محمد بن الفضل الحافظ بأصبهان يقول: ذكر شيخنا أبو الفضل

محمد بن طاهر المقدسي الحافظ، ونقلت من خطبه.
سمعت الكيا أبا الحسين يحيى بن الحسين العلوي الزيدي وكان من نبلاء أهل البيت ومن المحمودين في صناعة الحديث وغيره من الأصول والفروع يقول: وقد دخل عليه بعض الشعراء فمدحه بقصيدة، فلما خرج قال: يا أبا الفضل، الناس ينظرون إلى وإلى المرتضى ولا يفرقون بين الرجلين، المرتضى يدخل عليه من أملاكه كل سنة أربعة وعشرون ألف دينارٍ، وأنا آكل من طاحونةٍ لأختي ليس لي معيشة غيرها.
قال أبو الفضل المقدسي، وذكر بين يديه يوماً الإمامية فذكرهم بأقبح ذكرٍ وقال: لو كانوا من الدواب لكانوا الحمير، ولو كانوا من الطيور لكانوا الرخم وأطنب في ذمهم، وبعد مدة دخلت على المرتضى وجرى ذكر الزيدية والصالحية أيهما أفضل؟ فقال يا أبا الفضل: تقول أيهما خير ولا تقول أيهما شر، فتعجبت من إمامي الشيعة في وقتهما ومن قول كل واحدٍ منهما في مذهب الآخر فقلت: قد كفى أهل السنة الوقيعة فيكما. قرأت بخط الشيخ أبي محمد بن الخشاب: حدثني الشيخ الصالح أبو صالح قرطاس بن الطنطاش الظفري الصوفي التركي من لفظه قال: سمعت أبا الرملي يقول وكان مسناً: حضرت مجلس أبي القاسم المرتضى وأنا إذ ذاك صبي، فدخل عليه بعض أكابر الديلم فتزحزح له وأجلسه معه على سريره، وأقبل عليه مسائلاً فساره الديلمي بشيءٍ لم نعلم ما هو؟ فقال متضجراً نعم: وأخذ معه في كلام كأنه يدافعه، فنهض الديلمي فقال المرتضى بعد نهوضه: هؤلاء يريدون منا أن نزيل الجبال بالريش، وأقبل على من في مجلسه فقال: أتدرون ما قال هذا الديلمي؟ فقالوا لاياسيدي، فقال: قال: بين لي هل صح إسلام أبي بكر وعمر؟ قلت أنا: - رضي الله عنهما -، قرأت في بعض كتب الحسن بن جعفر بن عبد الصمد بن المتوكل بخطه.
حدثني الفصيحي النحوي قال: اطلع المرتضى من روشنه فرأى المطرز الشاعر وقد انقطع شراك نعله وهو يصلحه فقال له: فديت ركائبك وأشار إلى قصيدته التي أولها:

سرى مغرما بالعيش يسائل عن بدر الدجى
ينتجع الركـبـا الشرق والغربا
على عذبات الجزع من غزال يرى ماء
ماء تغـلـبٍ القلوب له شـربـا

إلى قوله:

إذا لم تبلغني إليكـم فلا وردت ماءً
ركـائبـي ولارعت العشبا

فقال مسرعاً: أتراها ما تشبه مجلسك وخلعك؟ أشار بذلك إلى أبياته التي أولها:

يا خليلي من ذؤابة قيس

مذكورة في أول ترجمته قبل، وأنه لما خلع وهب النوم. وللمرتضى:

تجاف عن الأعداء كفيت فلم تجرح
بغياً فربمـا بناب ولاظفر
ولاتبر منهم كل عودٍ فإن الأعادي ينبتون
تخافـه مع الدهر

على بن الحسين بن علي العبسي

يعرف بابن كوجك الوراق، كان أديباً فاضلاً يورق سمع بمصر من أبي مسلم محمد بن أحمد كاتب أبي الفضل بن حنزابة الوزير. صنف كتباً منها: كتاب الطنبوريين كتاب أعز المطالب إلى أعلى المراتب في الزهد كتب به إلى الشابستي صاحب كتاب الديارات، ومات في أيام الحاكم فرأيته سنة أربع وتسعين وثلاثمائة، وكان بالشام والساحل، ومدح سيف الدولة لما فتح الحدث فقال:

رام هدم الإسلام ذن بنيانها بهدم
بالحدث المؤ الـضـلال
نكلت عنك منه نفس سلبته القوى رؤس
ضعيفٍ العوالي
فتوقى الحمام ل وباع المقام
بالنفس والمـا بالارتـحـال
ترك الطير والوحوش بين تلك السهول
سغاباً والأجبـال
ولكم وقعةٍ قريت ر فيها جماجـم
عفاة الطي الأبـطـال

وكان أبوه الحسين بن علي من أهل الأدب والشعر. قال الحافظ أبو القاسم الدمشقي: الحسين بن علي بن كوجك أبو القاسم الكوجكي حدث بطرابلس سنة تسع وخمسين وثلاثمائة عن أبي مسعود كاتب حسنون المصري، وعن أبيه علي وأبي القاسم بن المنتاب العراقي. كتب عنه بعض أهل الأدب وأنشد له هذه الأبيات:

وما ذات بعلٍ مات وقد وجدت حملاً
عنها فجاءةً دوين الترائب
بأرضٍ نأت عن تعاورها الوراث من
والديها كليهما كل جانب
فلما استبان الحمل قليلاً وقد دبوا دبيب
منها تنهنهوا العقـارب
فجاءت بمولودٍ غلامٍ تراث أبيه الميت دون
فحـوزت الأقارب
فلما غدا للمال ربا لإعجابها فيه عيون
ونافـسـت الكواعـب
وأصبح مأمولاً يخاف جميل المحيا ذا عذارٍ
ويرتجى وشارب
أتيح له عبل الذراعين جرئ على أقرانه غير
مخـدر هائب
فلم يبق منه غير وجمجة ليسـت بـذات
عظم مجـزرٍ ذوائب
بأوجع مني يوم ولت يؤم بها الحادون

حدوجهـم وادي غباغب

علي بن الحسين بن بلبل العسقلاني

أبو الحسين. من شعره في محبوب أزرق العينين:

تدل بالذابل حسنـاً طرفك ما في طرف الذابل
وفـي أزرق كالأزرق يوم الوغى كلاهما يوصف بالقـاتـل

وله أيضا:

شعر الذؤابة والعـذار قاما بعذري واعتذاري
بأبي الذي فـي خـده ماء الصبا ولهيب نار
سكرت لوا حظه بي ما يفيق من وقـل الخمار
عابوا امتهاني في هوا ه كأنني أنا باختـياري
ومن الصواب وها عذا ري شائب خلع العذار

وله أيضا:

تعرف في وجهه إذا مـا رأيته نضرة الـنـعـيم
كأنـمـا خـده حـبـاب بت به لـيلة الـسـلـيم
ولي غريم لـوى ديونـي ليت غرامي على غريمي

على بن الحسين الآمدي النحوي

أبو الحسن، ذكره محمد بن إسحاق النديم، وذكر أنه خرج إلى مصر فأقام بها منقطعاً إلى أبي الفضل بن حنزابة الوزير، وخطه صحيح مليح، ولم يثبت له مصنفاً. قلت أنا: وهو من مشايخ عبد السلام ابن الحسين البصري، وجدت بخطه وقد أنشد عنه بيتاً لأبي الهيذام كلاب بن حمزة العقيلي - وهو مذكور في بابه - وقال: أنشدناه جماعة من مشايخنا منهم: أبو الحسن على بن الحسن الآمدي.

وحدث ابن نصرٍ قال: حدثني أبو الحسن المبدع وكنت أعرفه قديماً، ودخل إلى بغداد خضيباً فأنكرته ثم عرفته، فجرى ذكر شعراء المصريين فقلت له: ما رأيت لهم شيئاً ناصعاً فقال لي: كان الآمدي يتولى أرزاق الشعراء والمتعطلين والأشراف والكتاب وكان خضيباً، ولم يسمه لي ولاكناه، ولاأعلم هل هو النحوي صاحب كتاب الموازنة أو غيره؟ إلا أني أذكر ما حكاه قال: منع الحسين بن بشر الكاتب المصري أرزاقه فعمل فيه قطعةً أولها:

إن طغى الآمدى راشه الدهر
طغيان مثرٍ فالمريش يحص
أيها الآمدى عقـلـك ل على أن آمد اليوم
قـد د حمص

إن حرصاً يدعو إلى قطعك الأر زاق فينا على هلاكك حرص
بسواد السماد خ فمن ذا سواده
تخضب ياشي مايبص
ألق فيه عفصاً فإنك ج إلى العفص حين تحتا يعكس عفص

فقلت: تنشد هذا وأنت خضيب؟ فقال: الجيد يروي وإن كان على الراوي فيه دق الباب

علي بن الحسن بن على الضرير، الأصفهاني النحوي

أبو الحسن الباقولي المعروف بالجامع، ذكره أبو الحسن البيهقي في كتاب الوشاح فقال: هو في النحو و الإعراب كعبة لها أفاضل العصر سدنة، وللفضل فيه بعد خفائه أسوة حسنة، وقد بعث إلى خراسان بيت الفرزدق المشهور في شهور سنة خمسٍ وثلاثين وخمسمائةٍ وهو:

فليست خراسان التي كان خالد بها أسداً إذ كان سيفاً أميرها

وكتب كل فاضلٍ من فضلاء خراسان لهذا البيت شرحاً ثم قال: وهذا الإمام استدرك على أبي على الفسوى وعبدج القاهر وله هذه الرتبة، ومن نظر في تصانيفه علم أنه لاحق سبق السابقين، وقيل من منظومه:

أحبب النحو من العلم فقد يدرك المرء به أعلى الشرف
إنما النحوى في مجلسه كشهاب ثاقب بين السدف
يخرج القرآن من فيه كما تخرج الدرة من جوف الصدف

قال البيهقي: وبعد ذلك تحقق أن هذه الأبيات من إنشاده لا من إنشائه. له من التصانيف: كتاب شرح اللمع، وكتاب كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في علل القران، قرأت في خاتمة كتاب المشكلات للجامع هذا ماصورته: وقد أمللته بعد تصنيف كتاب الجوهر، وكتاب المجمل كتاب الاستدراك على أبي علي، وكتاب البيان في شواهد القران، وسأجمع لك كتاباً أذكر فيه الأقاويل في معنى الآية دون الإعراب وما يتعلق بالصناعة منها.

علي بن حمزة الكسائي

هو أبو الحسن على بن حمزة بن عبد الله بن عثمان من ولد بهمن بن فيروز مولى بني أسد النحوي. أحد الأئمة في القراءة والنحو واللغة، وأحد السبعة القراء

المشهورين، وهو من أهل الكوفة، استوطن بغداد وروى الحديث وصنف الكتب، ومات بالري صحبه الرشي على ما نذكره فيما بعد سنة اثنتين وثمانين ومائة أو ثلاث وثمانين ومائة، وقيل بعد ذلك في سنة تسع وثمانين، وقال مهدى بن سابق: في سنة اثنتين وتسعين ومائة هو محمد بن الحسن الفقيه صاحب أبي حنيفة، فقال الرشيد: اليوم ذهب الفقه والعربية، قال الخطيب: إن عمر الكسائي بلغ سبعين سنه.

وكان الكسائي مؤدباً لولد الرشيد، وكان أثيراً عند الخليفة حتى أخرجه من طبقة المؤدبين إلى طبقة الجلساء والمؤانسين، وكان الكسائي قد قرأ على حمزة الزيات ثم اختار لنفسه قراءةً. وسمع من سليمان ابن أرقم وأبي بكر بن عياشٍ. وفي القراء آخر يقال له الكسائي الصغير، واسمه محمد بن يحيى، روى عنه ابن مجاهدٍ عن خلف بن هشامٍ النراز.

حدث الخطيب قال: قال الفراء: إنما تعلم الكسائي النحوي على كبرٍ، وسببه أنه جاء إلى قوم من الهباريين وقد أعيا فقال لهم: قد عييت. فقالوا له: أتجالسنا وأنت تلحن؟ فقال: كيف لحنت؟ قالوا: إن كنت أردت من انقطاع الحيلة والتحير في الأمر فقل عييت مخففاً، وإن كنت أردت من التعب فقل أعييت، فأنف من هذه الكلمة، ثم قام من فوره ذلك فسأل من يعلم النحو؟ فأرشدوه إلى معاذٍ الهراء فلزمه حتى أنفد ما عنده، ثم خرج إلى البصرة فلقى الخليل وجلس في حلقته، فقال له رجل من الأعراب: تركت أسد الكوفة وتميمها وعندها الفصاحة وجئت إلى البصرة، فقال للخليل: من أين أخذت علمك هذا؟ قال: من بوادي الحجاز ونجدٍ وتهامة، فخرج ورجع. وقد أنفد خمس عشرة قنينة حبرا في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ، فلم يكن له هم غير البصرة والخليل، فوجد الخليل قد مات وجلس في موضعه يونس النحوي، فمرت بينهما مسائل أقر له يونس فيها، وصدره موضعه. وحدث الخطيب أيضاً بإسنادٍ رفعه إلى عبد الرحيم ابن موسى قال: قلت للكسائي: لم سميت الكسائي؟ قال: لأني أحرمت في كساءٍ. قال: وقيل فيه قول آخر، وذكر إسناداً رفعه إلى محمد بن يحيى

المروزى قال: سألت خلف بن هشام لم سمى الكسائي كسائياً؟ فقال: دخل الكسائي الكوفة فجاء إلى مسجد السبيع وكان حمزة بن حبيب الزيات يقرئ فيه، فتقدم الكسائي مع أذان الفجر، فجلس وهو ملتف بكساء من البرد كان أسود، فلا صلى حمزة قال: من تقدم الوقت يقرأ؟ قيل له الكسائي أول من تقدم يعنون صاحب الكساء، فرمقه القوم بأبصارهم فقال: إن كان حائكاً فسيقرأ سورة يوسف، وإن كان ملاحاً فسيقرأ سورة طه، فسمعهم فابتدأ بسورة يوسف، فلما بلغ إلى قصة الذئب قرأ فأكله الذيب بغير همز، فقال له الزيات: بالهمز، فقال له الكسائي: وكذلكً أهمز الحوت في قوله تعالى:)فالتقمه الحوت(، قال: لا قال، فلم همزت الذئب ولم تهمز الحوت؟ وهذا فأكله الذئب، وهذا فالتقمه الحوت. فرفع حمزة بصره إلى خلادٍ الأحوال وكان أجمل غلمانه فتقدم إليه في جماعة من أهل المجلس، فناظروا فلم يصيبوا شيئاً فقال: أفدنا - رحمك الله -، فقال لهم الكسائي: تفهموا عن الحائك، تقول: إذا نسبت الرجل إلى الذئب قد استذأب الرجل، ولو قلت: قد استذاب بغير همز لكنت إنما نسبته إالى الهزال، تقول: استذاب الرجل: إذا استذاب شحمه بغير همز. وإذا نسبته إلى الحوت تقول: قد استحات الرجل أي كثر أكله، لأن الحوت يأكل كثيرا ولايجوز فيه الهمز، فلتلك العلة همز الذئب ولم يهمز الحوت، وفيه معنىً آخر لاتسقط الهمزة من مفرده ولا من جمعه وأنشدهم:

أيها الـذئب وابـنـه أنت عندي من أذؤبٍ وأبـوه ضاريات

قال: فسمى الكسائي من ذلك اليوم. وحدث المرزباني فيما رفعه إلى ابن الأعرابي قال: كان الكسائي أعلم الناس على رهق فيه، كان يديم شرب النبيذ ويجاهر باتخاذ الغلمان الروقة إلا أنه كان ضابطاً قارئاً عالماً بالعربية صدوقاً.

وحدث المزرباني فيما رفعه إلى الكسائي قال: أحضرني الرشيد سنة اثنتين وثمانين ومائة في السنة الثالثة من خلافته، فأخرج إلى محمداً الأمين وبعبد الله المأمون كأنهما بدران فقال: امتحنهما بشيءٍ، فما سألتهما عن شيء إلا أحسنا الجواب فيه، فقال لي كيف تراهما؟ فقلت:

أرى قمري أفقٍ يزينهما عرق كريم وفرعي بشامةٍ ومحـتـد يسدان آفاق السمـاء يؤيدها حـزم ورأى

بـهـمةٍ وسـؤدد
سليلي أمير مواريث ما أبقى
المؤمنين وحـائزي النبي محمـد
حياة وخصب للولى وحرب لأعداءٍ وسيف
ورحـمة مهنـد

ثم قلت: فرع زكا أصله، وطاب مغرسه، وتمكنت فروعه، وعذبت مشاربه، آواهما ملك أغر، نافذ الأمر، عظيم الحلم، أعلاهما فعلوا، وسما بهما فسموا، فهما يتطاولان بطوله، ويستضيئان بنوره، وينطقان بلسانه، - فأمتع الله - أمير المؤمنين بهما، وبلغه الأمل فيهما، فقال: تفقدهما، فكنت أختلف إليهما في الأسبوع طرفي نهارهما.

وحدث الخطيب بإسنادٍ رفعه إلى سلمة قال: كان عند المهدي مؤدب يؤدب الرشيد، فدعاه المهدي يوماً وهو يستاك فقال له: كيف الأمر من السواك؟ قال: استك ياأمير المؤمنين، فقال المهدي: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم قال: التمسوا لنا من هو أفهم من ذا، فقالوا: رجل يقال له علي بن حمزة الكسائي من أهل الكوفة، قدم من البادية قريباً فكتب بإزعاجه من الكوفة، فساعة دخل عليه قال: يا علي بن حمزة، قال: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: كيف تأمر من السواك؟ قال: سك يا أمير المؤمنين، قال: أحسنت وأصبت، وأمر له بعشرة آلاف درهم.

وحدث المرزباني عن عبد الله بن جعفر عن ابن قادمٍ عن الكسائي قال: حججت مع الرشيد فقدمت لبعض الصلوات فصليت فقرأت:)ذريةً ضعافاً خافوا عليهم(، فأملت ضعافاً، فلما سملت ضربوني بالنعال والأيدي وغير ذلك حتى غشي علي، واتصل الخبر بالرشيد فوجه بمن استنقذني، فلما جئته قال لي: ما شأنك؟ فقلت له: قرأت لهم ببعض قراة حمزة الرديئة ففعلوا بي ما بلغ أمير المؤمنين، فقال: بئس ما صنعت، ثم ترك الكسائي كثيراً من قراءة حمزة وحدث فيما رفعه إلى الأحمر النحوي قال: دخل أبو يوسف القاضي - وقال عبد الله بن جعفرٍ محمد بن الحسن - على الرشيد وعنده الكسائي يحدثه فقال: يا أمير المؤمنين: قد سعد بك هذا الكوفي وشغلك، فقال الرشيد: النحو

يستفرغني، لأنني أستدل به على القران والشعر، فقال محمد بن الحسن، أو أبو يوسف: إن علم النحو إذا بلغ فيه الرجل الغاية صار معلماً. والفقه إذا عرف الرجل منه جملة صار قاضياً. فقال الكسائي: أنا أفضل منك، لأني أحسن ما تحسن، وأحسن مالاتحسن، ثم التفت إلى الرشيد وقال: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن له في جوابي عن مسألة من الفقه، فضحك الرشيد وقال: أبلغت يا كسائي إلى هذا؟ ثم قال لأبي يوسف: أجبه، فقال الكسائي: ما تقول لرجلٍ قال لامرأته أنت طالق إن دخلت الدار؟ فقال أبو يوسف: خطأ، إذا فتحت أن فقد وجب الأمر، وإذا كسرت فإنه لم يقع الطلاق بعد. فنظر أبو يوسف بعد ذلك في النحو.

وحدث أيضا عمن سمع الكسائي يقول: اجتمعت أنا وأبو يوسف القاضي عند هارون الرشيد، فجعل أبو يوسف يذم النحو ويقول: وما النحو؟ فقلت - وأردت أن أعلمه فضل النحو -: ما تقول في رجل قال لرجل: أنا قاتل غلامك؟ وقال له آخر: أنا قاتل غلامك، أيهما كنت تأخذ به؟ قال آخذهما جميعا، فقال له هارون: أخطأت، وكان له علم بالعربية، فاستحيا وقال: كيف ذلك؟ قال: الذي يؤخذ بقتل الغلام هو الذي قال: أنا قاتل غلامك بالإضافة، لأنه فعل ماض، وأما الذي قال: أنا قاتل غلامك بالنصب فلا يؤخذ، لأنه مستقبل لم يكن بعد، كما قال الله عز وجل:)ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله(. فلولا التنوين مستقبل ما جاز فيه غداً، فكان أبو يوسف بعد ذلك يمدح العربية والنحو.

وحدث فيما رفعه إلى إبراهيم بن إسماعيل الكاتب قال: سأل اليزيدي الكسائي بحضرة الرشيد قال: انظر، في هذا الشعر عيب؟ وأنشده:

ما رأينا خربـاً نـق ر عنه البيض صقر
لا يكون العير مهـراً لا يكون، المهر مهر

فقال الكسائي: قد أقوى الشاعر، فقال له اليزيدي انظر فيه، فقال: أقوى لابد ينصب المهر الثاني على أنه خبر كان، قال: فضرب اليزيدي بقلنسوته الأرض وقال: أنا أبو محمدٍ الشعر صواب، وإنما ابتدأ فقال: المهر مهر، فقال له يحيى بن خالدٍ: أتكتني بحضرة أمير المؤمنين وتكشف رأسك؟ والله لخطأ الكسائي مع أدبه، أحب إلينا من صوابك مع سوء فعلك، فقال: لذة الغلبة أنستني من هذا ما أحسن.

حدث المرزباني، حدث محمد بن إبراهيم، حدثنا عبد الله بن أبي سعدٍ الوراق، حدثنا النعمان بن هارون الشيباني قال: كان أبو نواسٍ يختلف إلى محمدٍ بن زبيدة، وكان الكسائي يعلمه النحو فقال أبو نواس: إني أريد إن أقبل محمداً قبلة، فقال له الكسائي: إن علي في هذا وصمة، وأكره أن يبلغ هذا أمير المؤمنين، فقال أبو نواس: إنك إن تركتني أقبله وإلا قلت فيك أبياتاً أرفعها إلى أمير المؤمنين، فأبى عليه الكسائي وظن أنه لا يفعل، فكتب أبو نواس رقعةً:

قل للإمام جزاك اللـه صـالـحةً لا يجمع الدهر بين السخل والذيب
فالسخل غر وهم الذئب غفلـتـه والذئب يعلم مابالسخل من طـيب

ودفعها إلى بعض الخدم ليوصلها إلى الرشيد، فجاء بها الخادم إلى الكسائي، فلما قرأها علم أنه شعر أبي نواسٍ فقال له: ويحك، هذا أمر عظيم سأتلطف لك، فغب أياماً ثم احضر وسلم علي وعلى محمد فستبلغ حاجتك، فغاب وتحدث الكسائي إن أبا نواسٍ غائب ثم جاء فقام إليه الكسائي فسلم عليه وعانقه، وسلم أبو نواسٍ على محمدٍ وقبله، فقال أبو نواسٍ:

قد أحدث الناس ظرفـاً يزهو على كل ظرف
كانوا إذا مـاتـلاقـوا تصافحـوا بـالأكـف
فاظهروا اليوم رشف ال خدود والرشف يشفـى
فصرت تلثم من شـئ ت من طريق التخفي

قال: وقال ابن أبي طاهر: وهذا الحديث عندي باطل مصنوع من قبل من حدث به ابن أبي سعد عنه لامنه، لأن أبناء الخلفاء كانوا في مثل حال الممنوع أجل مكاناً من أن يعانقوا أحدا من الرعية، ومن قبل أن هذا الشعر الأخير أنشدنيه غير واحدٍ لعبد الصمد ابن المعذل حتى خبرني أبو علي الفضل بن جعفر بن الفضل بن يوسف المعروف بالبصير أنه له، وأنه قاله بالكوفة في حداثةٍ من سنه، وكان بعيداً من الكذب في ادعاء مثل هذا من الشعر والله أعلم.

حدث عبد الله بن جعفر عن محمد بن يزيد عن المازني عن الأصمعي قال: كان الكسائي يأخذ اللغة من أعراب من أعراب الحطمية ينزلون بقطر بل وغيرها من قرى سواد بغداد، فلما ناظر الكسائي سيبويه استشهد بكلامهم، واحتج بهم وبلغتهم على سيبويه. فقال أبو محمد اليزيدي: كنا نقيس النحو فيما مضى - الأبيات - والأبيات في أخبار اليزيدي. ولليزيدي أشعار في الكسائي ذكرت في أخباره، ومن قول اليزيدي فيه:

أفسد النحو الكسـائي ... ي وثنى ابن غـزالة

وأرى الأحمر تيسـاً ... فاعلفوا التيس النخالة

وحدث المرزباني عن عبد الله بن جعفرٍ عن محمد بن يزيد عن المازني والرياشي عن أبي زيدٍ قال: لما ورد نعى الكسائي من الري قال أبو زيدٍ: لقد دفن بها علم كثير بالكسائي ثم قال: قدم علينا الكسائي البصرة فلقى عيسى والخليل وغيرهما، وأخذ منهم نحواً كثيراً، ثم صار إلى بغداد فلقى أعراب الحطمية فأخذ عنهم الفساد من الخطأ واللحن، فأفسد بذلك ما كان أخذه بالبصرة كله. قال عبد الله: وذلك إن الكسائي كان يسمع الشاذ الذي لايجوز من الخطأ واللحن وشعر غير أهل الفصاحة والضرورات، فيجعل ذلك أصلا ويقيس عليه حتى أفسد النحو.

قال أبو عبد الله بن مقلة: حدثني أبو العباس أحمد ابن يحيى قال: اجتماع الكسائي والأصمعي عند الرشيد وكانا معه يقيمان بمقامه، ويظعنان بظعنه، فأنشد الكسائي:

أم كيف ينفع ما تعطي العلوق به ... رئمان أنفٍ إذ ماضن باللبـن؟

فقال الأصمعي: رئمان بالرفع، فقال له الكسائي: اسكت ما أنت وهذا؟ يجوز رئماناً ورئمان ورئمان، ولم يكن الأصمعي بصاحب عربيةٍ، فسألت أبا العباس كيف جاز ذلك؟ فقال: إذا رفع رفع بينفع، أي أم كيف ينفع رئمان أنفٍ، وإذا نصب نصب بيعطى، وإذا خفض رده على الهاء في به. قال: والمعنى وما ينفعني إذا وعدتني بلسانك ثم لم تصدقه بفعلك، يقال ذلك للذي يبر ولا يكون منه نفع كهذه الناقة التي تشم بأنفها مع تمنع درها، والعلوق: التي قد علق قلبها بولدها، وذلك أنه نحر عنها ثم حشى جلده تبناً أو حشيشاً وجعل بين يديها حتى تشمه وتدر عليه، فهي تسكن إليه مرة ثم تنفر عنه ثانيةً تشمه بأنفها ثم تأباه مقلتها فيقول: فما ينفع من هذا البو إذا تشممته ثم منعت درها؟ قال أبو العباس: حدثني سلمة قال: قال الفراء: مات الكسائي وهو لا يحسن حد نعم وبئس، ولاحد أن المفتوحة، ولاحد الحكاية، قال: فقلت لسلمة فكيف لم يناظره في ذلك؟ فقال: قد سألته ذلك فقال: أشفقت أن أحادثه فيقول في كلمةً تسقطى فأمسكت قال الفراء: ولم يكن الخليل يحسن النداء، ولا كان سيبويه يدري حد التعجب. وحدث المرزباني في ما رفعه إلى الفراء قال: قدم سيبويه على البرامكة فعزم يحيى بن خالد أن يجمع بينه وبين الكسائي وجعل لذلك يوماً، فلما حضر تقدمت والأحمر فدخل فإذا بمثالٍ في صدر

المجلس، فقعد عليه يحيى وقعد إلى جانب المثال جعفر والفضل ومن حضر بحضورهم، وحضر سيبويه فأقبل عليه الأحمر فسأله عن مسألةٍ فأجابه فيها سيبويه فقال له: أخطأت، ثم سأله عن ثانية فأجاب فقال له: أخطأت، ثم سأله عن ثالثة فأجابه فيها فقال له: أخطأت، فقال له سيبويه: هذا سوء أدب. قال الفراء: فأقبلت عليه فقلت: إن في هذا الرجل حدةً وعجلةً، ولكن ماتقول فيمن قال: هؤلاء أبون، ومررت بأبين، كيف تقول على مثال ذلك، وأيت أو أويت؟ قال: فقدر فأخطأ فقلت له: أعد النظر ثلاث مراتٍ تجيب ولاتصيب، فلما كثر عليه ذلك قال: لست أكلمكما أو يحضر صاحبكما حتى أناظره، قال: فحضر الكسائي فأقبل على سيبويه فقال: أتسألني أم أسألك؟ فقال: بل سلني أنت، فقال له الكسائي: كيف تقول: قد كنت أظن إن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي، أو فإذا هو إياها؟ فقال سيبويه: فإذا هو هي ولايجوز النصب، فقال له الكسائي: لحنت، ثم سأله عن مسائل من هذا النوع خرجت فإذا عبد الله القائم أو القائم، فقال سيبويه: في ذلك كله بالرفع دون النصب، فقال الكسائي: ليس هذا من كلام العرب، العرب ترفع في ذلك كله وتنصب، فدفع سيبويه قوله، فقال يحيى بن خالدٍ: قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما، فمن ذا يحكم بينكما؟ فقال له الكسائي: هذه العرب في بابك قد جمعتهم من كل أوبٍ. ووفدت عليك من كل صقعٍ، وهم فصحاء الناس وقد قنع بهم أهل المصرين، وسمع أهل الكوفة وأهل البصرة منهم فيحضرون ويسألون، فقال يحيى وجعفر. قد أنصفت، فأمر بإحضارهم فدخلوا، فهم: أبو فقعسٍ، وأبودثارٍ، وأبو الجراح، وأبوثروان، فسئلوا عن المسائل التي جرت بين الكسائي وسيبويه، فتابعوا الكسائي وقالوا بقوله. فقال: فأقبل يحيى على سيبويه فقال: قد تسمع أيها الرجل؟ فاستكان سيبويه وأقبل الكسائي على يحيى فقال: - أصلح الله الوزير -، إنه قد وفد عليك من بلده مؤملاً، فإن رأيت ألا ترده خائباً، فأمر له بعشرة آلاف درهم، فخرج وصير وجهه نحو فارس، فأقام هناك حتى مات ولم يعد إلى

البصرة.
قال ثعلب: وإنما أدخل ألفاء في قوله: فإذا هو إياها، لأن فإذا مفاجأة، أي فوجدته ورأيته، ووجدت ورأيت ينصب شيئين ويكون معه خبر، فلذلك نصبت العرب.
قال المؤلف: وقد ذكرنا هذا الخبر في باب سيبويه برواية أخرى، وذكرنا الاحتجاج للبصريين على تصويب قول سيبويه هناك إن شاء الله.
روى الزبيرعن إسحاق الموصلي قال: ما رأيت رجلاً منسوباً إلى العلم أجهل بالشعر من الكسائي
وبالإسناد قال: كان الكسائي من أشد خلق الله تسكعاً في تفسير شعرٍ، وما رأيت أعلم بالنحو قط منه، ولا أحسن تفسيراً، ولا أحذق بالمسائل، المسألة تشق من المسألة، والمسألة تدخل على المسألة.
وقرأت في نوادر ابن الأعرابي التي كتبها عنه ثعلب سمعت الكسائي يقول: قلت لأبي زيدٍ وآذاني باللزوم يا هذا، قد أمللتني، كم تلازمنى؟ فقال له أبو زيدٍ: إنما ألزمك لأعلمك، قال: فقلت له فاجلس في بيتك حتى آتيك. قال: وما جربت على الكسائي كذبةً قط. قال أبو عبد الله بن الأعرابي: ولئن كان أبو زيدٍ قال هذا، ما في الأرض أحد قط أخل عقلاً منه.
قال: وكان الكسائي أعلم من أبي زيدٍ بكثيرٍ بالعربية واللغات والنوادر، ولو كان نظر في الأشعار ما سبقه أحد ولا أدركه أحد حده. وقال أبو الطيب اللغوي في كتاب مراتب النحويين عن أبي حاتم قال: لم يكن لجميع الكوفيين عالم بالقران ولا كلام العرب، ولولا أن الكسائي دنا من الخلفاء فرفعوا ذكره لم يكن شيئاً، وعلمه مختلط بلا حججٍ ولاعللٍ إلا حكايات الأعراب مطروحةً، لأنه كان يلقنهم ما يريد، وهو على ذلك أعلم الكوفيين بالعربية والقران، وهو قدوتهم وإليه يرجعون.
وحدث المرزباني في كتابه قال: كتب الكسائي إلى الرشيد وهو يؤدب محمداً الأمين:

قل للخليفة ما تقول لمـن	أمسى إليك بحرمةٍ يدلى؟
مازلت منصار الأمين معي	عبدي يدي ومطيتي رجلي

وعلى فراشي ماينبهـنـى أسعى برجلٍ منه ثـالـثةٍ
من نومتي بقيامه قبـلـي نقصت زيادتها عن الرجل

فامنن على بما يسكنـه عني وأهد الغمد للنصل

قال: فضحك الرشيد وأمر له ببرذونٍ بسرجه ولجامه وبجاريةٍ حسناء بآلتها وخادم وعشرة آلاف درهمٍ. قيل للكسائي: قد أبحت علمك الناس؟ فقال يعين الله عليهم بالنسيان.

من مجالسات ثعلب: وصف ابن الأعرابي الكسائي فقال: كان أعلم الناس على رهقٍ فيه، يريد إتيان ما يكره، لأنه كان يشرب الشراب ويأتي الغلمان. قال: ومن شعر الكسائي:

إنما الـنـحـو قـياس يتـبـع وبه في كـل أمـر ينـتـفـع

فإذا ما نصر النحـو الـفـتـى مر في المنطق مراً فاتـسـع

فاتقـاه جـل مـن جـالـسـه من جليسٍ ناطقٍ أو مستـمـع

وإذا لم ينصر النحـو الـفـتـى هاب أن ينطق جبناً فانقـطـع

فتراه يرفـع الـنـصـب ومـا كان من خفضٍ ومن نصبٍ رفع

يقرأ القـران ولا يعـرف مـا صرف الإعراب فيه وصـنـع

والـذي يعـرفــه يقـــرؤه فإذا ما شك في حـرفٍ رجـع

ناظـراً فـيه وفـي إعـرابـه فإذا ما عرف اللـحـن صـدع

كم وضيعٍ رفع النـحـو وكـم من شريفٍ قد رأينـاه وضـع

فهمـا فـيه سـواء عـنـدكـم ليست السنة فـينـا كـالـبـدع

وحدث هارون بن علي بن المنجم في أماليه عن أبي توبه قال: سمعت الفراء يقول: مدحني رجل من النحويين فقال لي: ما اختلافك إلى الكسائي وأنت مثله في النحو؟ فأعجبتني نفسي فأتيته فناظرته مناظرة الأكفاء، فكأني كنت طائراً يغرف من البحر بمنقاره.

وحدث محمد بن إسحاق النديم قال: قرأت بخط أبي الطيب ابن أخي الشافعي قال: أشرف الرشيد على الكسائي وهو لا يراه، فقام الكسائي ليلبس نعله لحاجةٍ يريدها فابتدرها الأمين والمأمون، وكان مؤدبهما فوضعاها بين يديه، فقبل رؤوسهما وأيديهما ثم أقسم عليهما ألا يعاودا، فلما جلس الرشيد مجلسه قال: أي الناس أكرم خدماً؟ قال: أمير المؤمنين - أعزه الله - قال: بل الكسائي يخدمه الأمين والمأمون، وحدثهم الحديث.

حدث السلامي قال: حضر مجلس الكسائي أعرابي وهم يتحاورون في النحو فأعجبه ذلك، ثم تناظروا في التصريف فلم يهتد إلى ما يقولون، ففارقهم وأنشأ يقول:

مازال أخذهم في النحو يعجبني بمفعل فعلٍ لا طاب من كـلِـمٍ حتى تعاطوا كلام الزنج والروم كأنه زجل الغربـان. والـيوم

وقرأ بخط أبي سعيدٍ عبد الرحمن بن علي اليزدادي اللغوي الكاتب في كتاب جلاء المعرفة من تصنيفه قيل: اجتمع إبراهيم النظام وضرار بين يدي الرشيد، فتناظرا في القدر حتى دقت مناظرتهما فلم يفهمهما، فقال لبعض خدمه ومن يثق به ويرضى برأيه: اذهب بهذين إلى الكسائي حتى يتناظرا بين يديه ثم يخبرك لمن الفلج منهما، فلما صارا في بعض الطريق قال إبراهيم النظام لضرارٍ: أنت تعلم أن الكسائي لا يحسن شيئاً من النظر، وإنما معوله على النحو والحساب، ولكن تهيئ له مسألة نحوٍ، وأهيئ له مسألة حسابٍ فنشغله بهما، لأنا لا نأمن إن يسمع منا ما لم يسمعه ولم يبلغه فهمه أن ينسبنا إلى الزندقه، فلما صارا إليه سلما عليه، ثم بدأ ضرار فقال: أسألك - أصلحك الله - عن مسألة من النحو؟ قال: هاتها، قال: ماحد الفاعل والمفعول به؟ قال الكسائي: حد الفاعل الرفع أبداً، وحد المفعول به النصب أبداً، قال: فكيف تقول ضرب زيد؟ فقال: ضرب زيد. قال: فلم رفعت زيداً وقد شرطت أن المفعول به منصوب أبداً؟ قال لأنه لم يسم فاعله، قال له: فقد أخطأت في العبارة، إذ لم تقل إن المفعولين من إذا لم يسم فاعله كان مرفوعاً، ومن جعل لك الحكم بان تجعل الرفع لمن لم يسم فاعله؟ قال: لأنا إذا لم نذكر الفاعل أقمنا المفعول به مقامه، لأن الفعل الواقع عليه غير

مستحكم النقص، وعدم النقص مطابق للرفع، فإذا ذكرنا من فعل به وأفصحنا بذلك نصبناه. قال له: فإن كان النصب مطابقا للنقص فمن لم يسم فاعله أولى به، لأنا إذا قلنا: ضرب زيد فقد يمكن إن يكون ضربه مائة رجل، وإذا قلنا ضرب عبد الله زيداً فلم يضربه إلا رجل واحد، فالذي أمكن إن يضربه مائة رجل أولى بالنصب والنقص ممن لم يضربه إلا رجل واحد، فوقف الكسائي فلم يدر مايقول. ثم قال له إبراهيم: أسألك - أصلحك الله - عن مسألةٍ من الحساب؟ قال: قل. قال: كم جذر عشرة. قال: اجتمع الحساب على إنه لاجذر لعشرةٍ. قال: فهل علم الله جذرها؟ قال: الله عالم كل شيء ألقاه إلى نبيٍ من أنبيائه؟ ثم ألقاه ذلك النبي إلى صفيٍ من أصفيائه، فلم يزل ذلك العلم ينمى حتى صار علم جذر عشرةٍ عندي، وأكون أعلم جذرها ولاتعلمه أنت، وتكون مخطئاً فيما قلت، فالتفت الكسائي إلى الغلام وقال: اذهب بهذين إلى أمير المؤمنين فقل: إنهما زنديقان كافران بالله العظيم. قال: وكان الخادم لبيباً حصيفاً فأحسن العبارة عنهما وحسن أمورهما، فأمر بهما بجائزةٍ سنيةٍ وصرفهما. قال المؤلف: وهذه الحكاية عندي مصنوعة باردة، وإنما كتبتها لكوني وجدتها بخط رجلٍ عالمٍ. وحدث سلمة بن عاصمٍ قال: قال الكسائي: حلفت ألاً أكلم عامياً ألا بما يوافقه ويشبه كلامه، وذلك أنني وقفت على نجارٍ فقلت له: بكم ذانك البابان؟ فقال: بلحتان. فحلفت ألا أكلم عاميا إلا بما يصلحه. وحدث الحزنبل قال: أنشدنا يعقوب بن السكيت لأبي الجراح العقيلي يمدح الكسائي:

ضحوك إذا زف الخوان وزوره ... يحيا بأهلاً مرحباً ثـم يجـلـس

أبا حسنٍ ماجئتكم لظى الشوق إلا ... قط مـطـفـئاً والزجاجة تقلس

قال يعقوب: يريد تمتلئ حتى تفيض، ونصب قوله يحيا بأهلاً على الحكاية.

وحدث عبد الله بن جعفر بن علي بن مهدي عن أحمد بن الحارث الخراز قال: كان الكسائي ممن وسم بالتعليم، وكان كسب به مالاً إلا أنه حكى عنه إنه أقام

غلاماً ممن عنده في الكتاب وقام يفسق به وجاء بعض الكتاب ليسلم عليه فرآه الكسائي ولم يره الغلام، فجلس الكسائي في مكانه وبقي الغلام قائماً مبهوتاً، فلما دخل الكاتب قال للكسائي: ماشأن هذا الغلام قائماً؟ قال وقع الفعل عليه فأنتصب. وحدث المرزباني فيما أسنده إلى سعدون القارئ قال: رأيت الكسائي وهو يسأل أبا الحسن المروزي وقد أقام أربعين سنة يختلف إلى الكسائي والمروزي يقول: كيف تقول مررت بدجاجةٍ تنقرك أو تنقرك أو تنقرك؟ فقال له الكسائي؟ استحييت لك، بعد أربعين سنة لاتعرف حروف النعت؟ إنها تتبع الأسماء، قل تنقرك من نعت الدجاجة. قال: والكسائي يهزأ به ويعبث وينقر أنفه. وحدث أيضا بإسناد رفعه إلى نصير الرازي النحوي رجل كان بالري قال: قدم الكسائي مع هارون فاعتل علةً منكرةً فأتاه هارون ماشياً متفرغاً فخرج من عنده وهو مغموم جداً فقال لأصحابه: ما أظن الكسائي إلا ميتاً وجعل يسترجع، فجعل القوم يعزونه ويطيبون نفسه وهو يظهر حزناً فقالوا يا أمير المؤمنين: وماله قضيت عليه بهذا؟ قال: إنه حدثني أنه لقى رجلاً من الأعراب عالماً غزير العلم بموضعٍ يقال له ذو النخيلة، قال الكسائي: فكنت أغدو عليه وأروح أمتاح ماعنده، فغدوت عليه غدوةً من تلك الغدوات فإذا هو ثقيل ورأيت به علةً منكرةً قال: فألقى نفسه وجعل يتنفس ويقول:

قدر أحلك ذا النخيل وقد ترى — وأبى مالك ذو النخيل بـدار

ألا كداركم بذي بقر الحمـى — هيهات ذو بقرٍ من المزدار

قال الكسائي: فغدوت عليه صباحاً فإذا هو لما به: فدخلت الساعة على الكسائي فإذا هو ينشد هذين البيتين، فغمنى ذلك غماً شديداً، فكان كما قال: مات من يومه ودفن بمنزله في سكة حنظلة ابن نصر بالري سنة اثنتين وثمانين ومائة، وفي غير هذه الرواية زيادة في الشعر:

قالت جمال وكلـهـن جـمـيلة — ما تأمرون بهولاء الـسـفـار

قالوا بنو سفرٍ ولم نشعـر بـهـم — وهم الذين نريد غير تـمـارى

لما اتكأت على الحشايا مضمضت سقط الندى بجنوبهـن كـأنـمـا بالنوم أعينهـن بـعـد غـرار سقط الندى بلطائم الـعـطـار

وكانت وفاته برنبوية، كورة من كور الري هو ومحمد بن الحسن الفقيه في وقتٍ واحدٍ، وكانا خرجا مع الرشيد إليها. فقال الرشيد: دفنت الفقه والنحو برنبوية، فقال أبو محمد اليزيدي يرثيهما:

تصرمت الدنيا فـلـيس خـلـود سيفنيك ما أفنى القرون التي مضت أسيت على قاضى القضاة محمـدٍ وقلت إذا ما الخطب أشكل من لنـا وأوجعني موت الكسـائي بـعـده وأذهلني عـن كـل عـيش ولـذة هما عالمـانـا أوديا وتـخـرمـا وماقد ترى من بـهـجةٍ سـيبـيد فكن مستعداً فالـفـنـاء عـتـيد فأذريت دمعي والفـؤاد عـمـيد بايضاحه يومـا وأنـت فـقـيد? وكادت بي الأرض الفضاء تمـيد وأرق عيني والعـيون هـجـود ومالهما في الـعـالـمـين نـديد

وقد روى أن وفاة الكسائي كانت بطوس لا الرى. ولما بلغت هذه الأبيات إلى الرشيد قال يايزيدي: لئن كنت تسيء الكسائي في حياته، لقد أحسنت بعد موته. وقيل بل قال له: أحسنت يابصري، لئن كنت تظلمه في حياته، لقد أنصفته بعد موته. ومات الكسائي وله من التصانيف: كتاب معاني القران، كتاب مختصر في النحو، كتاب القراءات. كتاب العدد. كتاب النوادر الكبير، كتاب النوادر الأوسط، كتاب النوادر الأصغر، كتاب اختلاف العدد، كتاب الهجاء، كتاب مقطوع القران وموصوله، كتاب المصادر، كتاب الحروف، كتاب أشعار المعاياة وطرائقها، كتاب الهاءات المكنى بها في القران.

قرأت بخط الأزهري في كتاب نظم القرآ ن للمنذري: أسمعني أبو بكر عن بعض مشايخه أن الكسائي كان يقوم في المحراب يؤم فتشتد عليه القراءة حتى لا يقوم بقراءة)الحمد لله رب العالمين(، ثم يتحرف

فيقبل عليهم فيملي القرآن حفظاً ويفسره بمعانية وتفسيره

علي بن حمزة بن عمارة بن حمزة

ابن يسار بن عثمان الأصبهاني أبو الحسن، وعثمان هذا الذي أنتهت نسبة هذا إليه: هو والد أبي مسلم الخراساني ويسار أخوه، قال ذلك حمزة وقال: كان اسم ابيه قبل أن يسلم بنداد هرمز، فلما أسلم تسمى بعثمان، قال: وأبو مسلم اسمه: بهزادان بن بنداد هرمز، وعلي بن حمزة هذا من أولاد أخيه يسار، وكان أحد أدباء أصبهان المشهورين بالعلم والسعر والفضل والتصنيف، شائع ذلك ذائع عنه، وصنف كتباً منها: كتاب الشعر، وكتاب فقر البلغاء يشتمل على الاختيار من شعر عامة الشعراء، وكتاب قلائد الشرف في مفاخر أصبهان وأخبارها وغير ذلك. قال حمزة في مقدمة كتابه: وقد كان رجل من كبار أهل الأدب ببلدنا تعاطى عمل كتابٍ في هذا الفن، وهو أبو الحسن على بن حمزة بن عمارة، وسماه قلائد الشرف، فشحنه بأخبار الفرس في السير والأبيات، نبذ بينهما جملاً من أخبار أصبهان تنقص عن السدس من كتابه، وحجمها يكون دون ثلاثين ورقةً، وروى فيما بينها أخباراً كأنها من أحاديث الحكم.

ومن شعر علي بن حمزة يرثى أبا مسلمٍ محمد ابن بحرٍ:

وقالوا ألا ترثي ابن بحر محـمـداً فلن يستطيع القول من طار قلـبـه ومن بان عنه إلـفـه وخـلـيلـه ومن كان أوفى الأوفياء لمخلـصٍ سجايا كماء المزن شيب به الجنـى وغرب ذكاءٍ واقدٍ مثـل جـمـرةٍ

فقلت لهم: ردوا فؤادي واسمعـوا جريحاً طريحاً بالمصـائب يقـرع فليس له إلا إلى البعث مـرجـع ومن حيز في سربالـه الفضل أجمع جنى الشهد في صفو المدام يشعشع وطبع به العضب المهند يطـبـع

ومن كان من بيت الكتابة في الذرى وذا منطقٍ في الحفل لايتتـعـتـع

وله كتبه إلى أبي نجيحٍ أخي أبي سعدٍ الشاعر:

قد عزمنا على الصبوح فبادر قبل إن تضحى السماء المخيلة

فلذا الدجن لم أزل مذعقلت ياخـلـيلـي ذمـام أمري خليله

وهو يوم أغر أبلـج بحيا يستمد مـنـه يهـمـى سـيولـه

ودعـانـي إلـيه أدهـم داجٍ قد رحمنا بكـاءه وعـويلـه

شبه ليلٍ متى لم يسكن إلى الصباح استضيف بلـيلٍ صهيله

مطفح مهمر بلـوع تلب المدقع الضنين بـه يس صلـيلـه

راكب نازل يغطـمـط قد سئمنا ركوبـه وأب ونـزولـه

يطرد الجدب كلما سائليه بضـيعةً جاش أعطى ونـشـيلـه

ولدينا من المعـسـل يفثأ الدهر من فؤادي شـيء غليلـه

فتفضل بما سألـت بؤت للخل بالأيادي فـقـدمـاً الجلـيلـه

ولك الحكم إن تحكم ب فلا تخف عن في الشـر قلوب عليله

وفتوٍ كأنهم قـضـب د لهم السن سلاط الـهـن طـويلـه

قال المؤلف: ولعلى بن حمزة هذا مفاوضات طوال وجوا بات لجماعةٍ من شعراء أصبهان، منهم أبو الحسن طباطبا العلوي وغيره، لم أذكر منها شيئا لطولها ولقلة فائدتها عندي، فشعره على هذا النمط لاطائل فيه إلا أنه عند أهل أصبهان جليل نبيل.

علي بن حمزة البصري اللغوي

يكنى أبا النعيم. كان أحد أعيان أهل اللغة الفضلاء المتحققين العارفين بصحيحها من سقيمها، وله ردود

على جماعةٍ من أئمة أهل اللغة كابن دريدٍ والأصمعي وابن الأعرابي وغيرهم. ولما ورد المتنبي إلى بغداد كان بها وفي داره نزل.

قال أبو عليٍ الحسن بن يحيى الفقيه الصقلي يعرف بابن الخزاز في تاريخ صقلية من تصنيفه: وفي رمضان سنة خمسٍ وسبعين وثلاثمائةٍ مات على بن حمزة اللغوي البصري راوية المتنبي بصقلية، وصلى عليه القاضي إبراهيم ابن مالكٍ قاضي صقلية وكبر خمساً في الجامع. وله من التصانيف: كتاب الرد على أبي زيادٍ الكلابي، كتاب الرد على أبي عمرو الشيباني في نوادره، كتاب الرد على أبي حنيفة الدينوري في كتاب النبات، كتاب الرد على أبي عبيد القاسم بن سلامٍ في المصنف، كتاب الرد على ابن السكيت في إصلاح المنطق، كتاب الرد على ابن ولادٍ في المقصور والممدود، كتاب الرد على الجاحظ في الحيوان، كتاب الرد على ثعلبٍ في الفصيح. ورأيت هذه كلها بمصر.

ترجمة ثانية: علي بن حمزة البصري اللغوي أحد الأعلام الأئمة في الأدب، وله تصانيف وردود على أهل الأدب وفق فيها. وقد روى عنه أبو الفتح بن جنيٍ شيئاً من أخبار المتنبي وغيرها، لأن المتنبئ لما ورد بغداد نزل عليه وكان ضيفه إلى أن رحل عنها. فحدث أبو عبد الله محمد بن نصرٍ الحميدي في كتاب جذوة المقتبس في تاريخ الأندلس في ترجمة ثابت بن محمد الجرجاني قال: أخبرني أبو محمدٍ على بن أحمد عن أبي الفتح ثابت بن محمد الجرجاني قال: أخبرني على بن حمزة مضيف المتنبئ قال: - وعنده نزل المتنبئ ببغداد - إن القصيدة التي أولها.

هذي برزت بنا فهجت رسيسا قالها في محمد بن رزيق الناظر في زواميل ابن الزيات صاحب طرسوس، وأنه وصله عليها بعشرة دراهم فقيل له: إن شعره حسن فقال: ما أدرى أحسن هو أم قبيح؟ ولكن أزيده لقولك عشرة دراهم، فكانت صلته عليها عشرين درهما.

علي بن حمزة الأديب

أبو الحسن مصنف الرسالة الحمارية، قدم دمشق ومدح بها أبا الفتح صالح بن أسدٍ الكاتب في سنة ثلاثين

وأربعمائةٍ. روى عنه أبو الحسن على بن عبد السلام الصورى، ومات باطرابلس ذكره ابن عساكر هكذا
على بن حمزة بن علي بن طلحة
ابن عليٍ الرزاي الأصل البغدادي المولد والدار، ويعرف بابن بقشلان مات بمصر، أخبرني الحافظ أبو عبد الله محب الدين محمد بن النجار: إن علي بن حمزة بن طلحة مات في غرة شعبان سنة تسع وتسعين وخمسمائةٍ، ويكنى أبا الحسين، وتلقب بعلم الدين، ولى حجبة الباب في أيام المستضئ بالله ثم نيابة المقام ببغداد، فسافر إلى الشام وتنقل إلى إن حصل بمصر فمات بها، وعلم الدين هذا: هو صاحب الخط المليح الغاية على طريقة على بن هلال بن البواب خصوصاً قلم المصاحف، فإنه لم يكتبه أحد مثله فيمن تقدم أو تأخر، ولذلك ذكرناه في هذا الكتاب، ولما ولى حجبة الباب كان يتقعر في كلامه ويستعمل السجع وحوشى اللغة، فمن ذلك ماحدثني به جماعة أهل بغداد إلا أنني كتبته من لفظ الصدر أبي محمدٍ عبد الله بن الهروي الشاعر قال: لما ولى علم الدين حجبة باب النوبي حظر على العامة سماع الملاهي وشرب الخمر وارتكاب الفواحش، وتشدد في ذلك تشدداً عظيماً، وأرد بعض العامة المثرين ختان ولد له فاستشفع إليه بمن يعز عليه في أن يمكنه من إحضار بعض الملاهي لذلك، فأذن فيه ثم قال: جيئوني به أشرط عليه، فلما مثل بين يديه قال له: قد أذن لك في ختان ولدك على ألايكون عندك مزهر ولا مزمر ولابربط ولادف ولاطنبور ولاعود ولامحظور ولاالشيء الملقب بالشنك، ولا من يجول الغناء له ببالٍ ولايحظر في خيالٍ. فقال له العامي: فيأذن لي مولاًنا أن أحضر وريدة المخنث يلطم عندي دورين أو ثلاثة. قال: فغضب ابن طلحة وقال له: كأنك من الذين تشرئب نفوسهم إلى ما حرم الله، أيها العوام الجهلة، والوضعاء السفلة، يا أهالي الجهل والغواية. ويا أصحاب الضلالة والعماية: أما فيكم من له عقل يرده؟ ولادين يصده، فينبذ الآثام وراء ظهره، ويسعى إلى الخير بانشراح صدره، تتهافتون على الفواحش والمآثم، ولا تأخذكم في المعصية لومة لائمٍ، بدلني الله بكم غيركم، وكفاني شركم وخيركم. فقال الرجل: الله أكبر، يريد تكبير الصلاة. فقال ابن

طلحة: وهذا أيضا من جهلك وقلة معرفتك وعقلك، ارجع إلى الله بقلبك، واستغفر لذنبك، ولاحول ولاقوة إلا بالله.

وكان أبو حمزة بن علي وهو الملقب بكمال الدين ويكنى أبا الفتوح، من الأعيان الأماثل، ولى حجبة الباب للمسترشد، ووكله وكالةً مطلقةً، فلما استخلف المقتضى لأمرالله ولاه صدرية المخزن، وأكثر الحج وجاور بمكة، وهو الذي عمر المدرسة التي بباب العامة لأصحاب الشافعي، تعرف إلى الآن بالكمالية، ووقف على المتفقهين بها ثلث ملكه، ومات في صفرٍ سنة ست وخمسين وخمسمائةٍ ودفن بالحربية

علي بن خليفة بن علي النحوي

يعرف بابن المنقى أبو الحسن من أهل الموصل، كان إماماً فاضلاً تأدب عليه أكثر أهل عصره من أهل بلده، ومات في ربيع الأول سنة اثنتين وستين وخمسمائةٍ، وكان يجلس بالمسجد المعروف بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالموصل، وصنف مقدمةً في النحو سماها المعونة، وكان زاهداً ورعاً مقداماً ذا سورةٍ وغضبٍ. أنشدني أبو الفضل محمد ابن أحمد بن خميسٍ المغربي الوكيل بباب القاضي بحلب، وهو موصلي المولد- مات في جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وستمائةٍ - قال: أنشدني ابن المنقى النحوي الموصلي لنفسه ودخل إليه رجل فقال له: من أين جئت؟ فقال له: من عند علامة الدنيا، يعني سعيد بن الدهان. فقال ارتجالاً

وقالوا: الأعور الدهان حبر — يفوق الناس في أدبٍ وكيس

فقلت: بحيس خير منه علماً — وإن الكلب خير من بحيس

وأنشدني قال: أنشدني ابن المنقى لنفسه وقد طلب منه ملك النحاة حلاوةً بعد كلامٍ جرى بينهما في مجلس تاج الدين بن الشهرزوري:

عندي للشيخ مليك النـحـاة — ريح شناجٍ سكنت في خصاه

لاعسل عندي ولاسـكـر — فليعذر الشيخ ويأكل خراه

وأنشدني بزان بن سنقر الموصلي قال: أنشدني شيخنا أبو عبد الله الحسين بن علي بن خليفة النحوي الأديب. ومات بباشزى من قرى البقعاء في سنة ثلاثٍ وتسعين وخمسمائةٍ قال: أنشدني والدى على بن خليفة بن المنقى - رحمه الله - لنفسه وقد عتب عليه جمال الدين الأصفهاني الوزير في ترك التردد إليه، ثم قصده بعد ذلك فمنعه البواب من غير أن يعرفه:

إني أتيتك زائراً — كيما أقوم ببعض حق

ومـسـلـمـاً الواجب
فإذا ببابك حاجب فعمود دارك في
متـبـظـرم حرام الحاجب
ولئن رأيتك راضياً فجميع ذلك في حرام
بفـعـالـه الصاحب

وأنشدني بزان قال: أنشدني الحسين بن عليٍ قال: أنشدني والدي لنفسه في بعض الشعراء وقد هجاه:

هجوت يابن اللئام هجو بلا خـيفةٍ
فاستمع ال ولامـلـلٍ
فأنت من معشرٍ إذا تنخس منهم محاجر
لحظـوا المقـل

على بن دبيس النحوي الموصلي

أبو الحسين، قرأ النحو على ابن وحشيٍ صاحب ابن جنيٍ، وأخذ عنه زيد مرزكة الموصلى وهو مذكور في بابه. ولعلي بن دبيسٍ أشعار حسان منها في وصف قوادٍ:

يسهل كل ممتـنـعٍ ويأتي بالمراد على
شـديدٍ اقتصاد
فلو كلفته تحصيل خيال ضحىً لزار بلا
طيف ال رقاد

علي بن زيد القاشاني النحوي

أحد أصحاب أبي الفتح بن جنيٍ. وجدت بخطه ما كتبه في سنة إحدى عشرة وأربعمائةٍ. وهو صاحب الخط الكثير الضبط المعقد، سلك فيه طريقه شيخه أبي الفتح.

علي بن زيد

أبو الحسن بن أبي القاسم البيهقي. مات سنة خمسٍ وستين وخمسمائةٍ، قال هو في كتاب مشارب التجارب: أنا أبو الحسن علي بن الإمام أبي القاسم زيد بن الحاكم الإمام أميرك، محمد بن الحاكم أبي عليٍ الحسين بن أبي سليمان الإمام فندق بن الإمام أيوب بن الحسن بن أحمد بن ابن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عمرو بن الحسن بن عثمان ابن أيوب بن خزيمة بن عمرو بن خزيمة بن عمرو بن خزيمة بن ثابت بن ذي الشهادتين صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ابن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة بن عامر بن عنان بن عامر ابن خطمة بن جشم بن مالك بن الأوس، ورفع نسبة إلى آدم وذلك يسير كما ذكرناه

في عدة مواضع من كتبنا. قال: ومولدي يوم السبت سابع عشرين شعبان سنة تسع وتسعين وأربعمائةٍ، في قصبة السابزوار من ناحية بيهق وهي بلدة بناها ساسان بن ساسان بن بابك ابن ساسان فأسلمني أبي بها إلى الكتاب، ثم رحلنا إلى ناحية ششتمذ من قرى تلك الناحية، ولوالدي بها ضياع، فحفظت في عهد الصبا كتاب الهادي للشاري تصنيف الميداني، وكتاب السامي في الأسامي له، وكتاب المصادر للقاضي الزوزني، وكتاب غريب القران للعزيزي، وكتاب إصلاح المنطق، وكتاب المنتحل للميكالي، وأشعار المتنبي، والحماسة، والسبعيات، وكتاب التلخيص في النحو. ثم بعد ذلك حفظت كتاب المجمل في اللغة، وحضرت في شهور سنة أربع عشرة وخمسمائةٍ كتاب أبي جعفرٍ المقرئ إمام الجامع القديم بنيسابور مصنف كتابٍ ينابيع اللغة وغير ذلك، وحفظت في كتابه كتاب تاج المصادر من تصنيفه، وقرأت عليه نحو ابن فضالٍ، وفصلاً من كتاب المقتصد، والأمثال لأبي عبيدٍ، والأمثال للأمير أبي الفضل الميكالي، ثم حضرت درس الإمام صدر الآفاضل أحمد بن محمدٍ الميداني في محرم سنة ست عشرة وخمسمائةٍ، وصححت عليه كتاب السامي في الأسامي من تصنيفه، وكتاب المصادر للقاضي، وكتاب المنتحل، وكتاب غريب الحديث لأبي عبيد، وكتاب إصلاح المنطق ومجموع الأمثال من تصنيفه، وكتاب صحاح اللغة للجوهري. وفي أثناء ذلك كنت أختلف إلى الإمام إبراهيم الخراز المتكلم وأقتبس منه أنوار علوم الكلام، وإلى الإمام محمدٍ الفزاري وسمعت منه غريب الحديث للخطابي وغيرهم، ثم مات والدي في سلخ جمادى الآخرة سنة سبع عشرة وخمسمائةٍ، فانتقلت في ذي الحجة سنة ثماني عشرة إلى مرو، فقرأت على تاج القضاة أبي سعدٍ يحيى بن عبد الملك بن عبيد الله بن صاعدٍ، وكان ملكاً في صورة إنسان، وعلقت من لفظه كتاب الزكاة، والمسائل الخلافية، ثم سائر المسائل على غير الترتيب، وخضت في المناظرة والمجادلة سنةً جردةً حتى رضيت عن نفسي فيه ورضي عني أستاذي، وكنت أعقد جلس الوعظ في

تلك المدرسة وفي الجامع، ثم انصرفت عن مرو في ربيعٍ الأول سنة احدى وعشرين وخمسمائةٍ، واشتغلت بمرو بتزويج صدني عن التحصيل صداً، وعدت إلى نيسابور ثم عدت إلى مسقط الرأس وزيارة الوالدة ببيهق، وأقمت بها ثلاثة أشهر وذلك في سنة إحدى وعشرين، ورجعت إلى نيسابور ثم رجعت إلى بيهق، واتفقت بيني وبين الأجل شهاب الدين محمد ابن مسعودٍ المختار وإلى الري ثم مشرف المملكة مصاهرة، وصرت مشدوداً بوثاق الأهل والأولاد سنين، وفوض إلى قضاء بيهق في جمادى الأولى سنة ستٍ وعشرين وخمسمائةٍ، فبخلت بزماني وعمري على إنفاقه في مثل هذه الأمور التي قصاراها ماقال شريح القاضي: أصبحت ونصف الناس علي غضبان، فضقت ذرعاً ولم أجد بداً من الأنتقال حتى يتقلص عني ظل ذلك الأمر، فقصدت كورة الري ليلة العيد من شوال سنة ست وعشرين وخمسمائةٍ، والوالي بها شهاب الدين صهري، فتلقاني أكابرها وقضاتها وسائر الأجلاء، وأقمت بها إلى السابع والعشرين من جمادى الأولى سنة سبعٍ وستين وخمسمائةٍ، وكنت في تلك المدة أنظر في الحساب والجبر والمقابلة وطرفاً من الأحكام، فلما رجعت إلى خراسان أتممت تلك الصناعة على الحكيم أستاذ خراسان عثمان بن جاذوكار، وحصلت كتباً من الأحكام، وصرت في تلك الصناعة مشاراً إلى، وانتقلت إلى نيسابور في غرة ربيعٍ الآخر سنة تسعٍ وعشرين وخمسمائةٍ، وكان علم الحكمة عندي غير نضيجٍ وعدت إلى بيهق وفي العين قذىً من نقصان الصناعة، فرأيت في المنام سنة ثلاثين قائلاً يقول: عليك بقطب الدين محمدٍ المروزي الملقب بالطبسي النصيري، فمضيت إلى سرخس وأقمت عنده وأنفقت ما عندي من الدنانير والدراهم، وعالجت جروح الحرص بتلك المراهم، وعدت إلى نيسابور في السابع والعشرين من شوال سنة اثنتين وثلاثين، وأقمت معه بنيسابور حتى أصابه الفالج وذلك في رجبٍ سنة ستٍ وثلاثين، فعدت إلى بيهق في شعبانها فأزعجني عنها حسد الأقارب، فخرجت منها خائفا أترقب في رمضان سنة سبعٍ وثلاثين إلى نيسابور،

فأكرمني أكابرها، فكنت أعقد المجلس في يوم الجمعة بجامع نيسابور القديم، ويوم الأربعاء في مسجد المربع، ويوم الاثنين في مسجد الحاج، وتفد على وفود إكرام الوزير ملك الوزراء طاهر بن فخر الملك، وإكرام أكابر الحضرة، فألقيت العصا بنيسابور وأقمت بها إلى غرة رجب سنة تسع وأربعين وخمسمائة، ثم ارتحلت عنها لزيارة والدتي، ومات ولدي أحمد ووالدتي في هذه السنة، وكانت حافظةً للقران عالمة بوجوه تفاسيره.

وهأنا أذكر تصانيفي في هذه المدة: كتاب أسئلة القران مع الأجوبة مجلدة، كتاب إعجاز القرآن مجلد، كتاب الإفادة من كلمة الشهادة مجلدة، كتاب المختصر من الفرائض مجلد، كتاب الفرائض بالجدول مجلد، كتاب أصول الفقه مجلد، كتاب قرائن آيات القران مجلد، كتاب معارج نهج البلاغة وهو شرح الكتاب مجلد، كتاب نهج الرشاد في الأصول مجلد، كتاب كنز الحجج في الأصول مجلد، كتاب جلاء صدأ الشك في الأصول، كتاب إيضاح البراهين في الأصول مجلد، كتاب الإفادة في إثبات الحشر والإعادة مجلد، كتاب تحفة السادة مجلد، كتاب التحرير في التذكير مجلدان، كتاب الوقيعة في منكر الشريعة مجلد، كتاب تنبيه العلماء على تمويه المتشبهين بالعلماء، كتاب أزاهير الرياض المريعة وتفسير ألفاظ المحاورة والشريعة مجلد، كتاب أشعاره مجلد، كتاب درر السخاب ودرر السحاب في الرسائل مجلد، كتاب ملح البلاغة مجلد، كتاب البلاغة الخفية مجلد، كتاب طرائق الوسائل إلى حدائق الرسائل مجلد، كتاب الرسائل بالفارسي مجلد، كتاب رسائله المتفرقة مجلد، كتاب عقود اللآلئ مجلد، كتاب غرر الأمثال مجلدان، كتاب الانتصار من الأشرار مجلد، كتاب الاعتبار بالإقبال والإدبار مجلد، كتاب وشاح دمية القصر مجلد ضخم، كتاب أسرار الاعتذار مجلد، كتاب شرح مشكلات المقامات الحريرية مجلد، كتاب درة الوشاح مجلد خفيف، كتاب العروض مجلد، كتاب أزهار أشجار الأشعار مجلد، كتاب عقود المضاحك بالفارسي مجلد، كتاب نصائح الكبراء بالفارسية مجلد، كتاب آداب السفر مجلدة، كتاب مجامع الأمثال وبدائع الأقوال

أربع مجلدات، كتاب مشارب التجارب أربع مجلداتٍ، كتاب ذخائر الحكم مجلدة، كتاب شرح الموجز المعجز مجلد، كتاب أسرار الحكم مجلدة، كتاب عرائس النفائس مجلدة، كتاب أطعمة المرضى مجلد، كتاب المعالجات الاعتبارية مجلد، كتاب تتمة صوان الحكمة مجلد، كتاب السموم مجلد، كتاب الحساب مجلد، كتاب خلاصة الزيجة مجلد، كتاب أسامي الأدوية وخواصها ومنافعها مجلد وهو معنون بتفاسير العقاقير مجلد ضخم، كتاب جوامع الأحكام ثلاث مجلدات، كتاب أمثلة الأعمال النجومية مجلد، كتاب مؤامرات الأعمال النجومية مجلد، كتاب غرر الأقيسة مجلد، كتاب معرفة ذات الحلق والكرة والأصطرلاب مجلد، كتاب أحكام القرانات مجلد، كتاب ربيع العارفين مجلد، كتاب رياحين العقول مجلد، كتاب الإراحة عن شدائد المساحة مجلد، كتاب حصص الأصفياء في قصص الأنبياء على طريق البلغاء بالفارسية مجلدان، كتاب المشتهر في نقض المعتبر الذي صنفه الحكيم أبو البركات مجلد، كتاب بساتين الأنس ودساتين الحدس في براهين النفس مجلد، كتاب مناهج الدرجات في شرح كتاب النجاة ثلاث مجلدات، كتاب الأمانات في شرح الإشارات، كتاب رقيات التشبيهات على خفايا المختلطات بالجداول مجلد، كتاب شرح رسالة الطر مجلد، كتاب شرح الحماسة مجلد، كتاب رسالة العطارة في مدح بني الزنارة، كتاب تعليقات فصول بقراط، كتاب شرح شعر البحتري وأبي تمام مجلد، كتاب شرح شهاب الأخبار مجلد.

قال المؤلف: هذا ماذكره في كتاب مشارب التجارب، ووجدت له تاريخ بيهق بالفارسية، وكتاب لباب الأنساب.

قال المؤلف: وقفت بنيسابور عند أول ورودي إليها في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة وستمائةٍ على كتاب وشاح الدمية فقال فيه: إن أبا القاسم الباخرزي فرغ من تصنيف كتاب دمية القصر في جمادى الآخرة سنة ستٍ وستين وأربعمائةٍ، وإنه هو بدأ بتصنيف الوشاح في غرة جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وخمسمائةٍ، وفرغ منه في رمضان سنة خمسٍ وثلاثين.

وأنشد لنفسه في كتاب الوشاح أشعاراً منها في مخلص الدين أبي الفضل محمد بن عاصم كاتب الإنشاء في ديوان السلطان سنجر قال: وهو ابن أخت أبي إسماعيل الطغرائى:

كريم علا أوج النجوم علاه وأيقظ نوام المديح نداه
سرى واهتدى طبعي بنجم كما له وأحمد في وقت الصباح سراه
له روضة أبدت من الفضل نرجساً وغصناً من الإقبال طاب جناه
أعاد رساغ القلب في حبل وده وغادر قلبي في صراع هواه
يفرق أشجان الأفاضل يمنه ويجمع كل الصيد جوف فراه
لقد زرت أشراف الزمان وإنما أبى الفضل إلا أن أزور فناه

وذكره العماد الأصفهاني في كتاب الخريدة ووصفه بالرياسة والشرف وقال: حدثني والدي أنه لما مضى إلى الري عقيب النكبة أصبح ذات يومٍ وشرف الدين البيهقي قد قصده في مركبه وهو حينئذٍ والي الري ونقله إلى منزله وتكفل بتسديد خلله، وكان حينئذٍ يترشح لوزارة السلطان وهو كبير الشان، ومازالا بالري مقيمين متوانسين حتى فرق بينهما محتوم البين، وذلك في سنة ثلاثٍ وثلاثين وخمسمائةٍ.
قال: وأظنه نكب في وقعة السلطان سنجر مع الكفار الخطائية، وكان والدي يثني عليه أبدا ويقول: إنه ما نظر إلى نظيره، ولامثلت لعينه عين مثله، صنف كتاب وشاح الدميه، ذيله على كتاب أبي الحسن الباخرزي وهو موجود بخراسان، وأورد فيه لنفسه:

تراجعت الأمور على قفاها كما يتراجع البغل الرموح
وتستبق الحوادث مقدماتٍ كما يتقدم الكبش النطوح

وقوله:

يشير بأطرافٍ لطافٍ أنابيب مسكٍ أو

كأنـهـا أساريع إسحل
وتومي بلحظٍ فاتر بمرود سحرٍ بابليٍ
الطرف فاترٍ مكـحـلِ
ينم على مابيننا مـن نسيم الصبا جاءت
تـجـاذبٍ بريا القرنفل

وله:

يا خالق العرش لما طغى الماء على
حملت الورى جـارية
وعبدك الآن طـغـى في صلبه فاحمل
مـاؤه على جارية

قال المؤلف: هكذا ذكر العماد في كتابه، وإذا عارضت قوله بما ذكره البيهقي عن نفسه في كتبه الذي نقلت لفظه منه من خطة، وجدت فيه اختلافاً في التاريخ وغيره والله أعلم.

ومن شعر أبي الحسن البيهقي الذي أورده لنفسه في كتاب الوشاح في عزيز الدين أبي الفتوح على بن فضل الله المستوفي الطغرائي ونقلته من خطه:

شموسي في أفق وأمنى من صرف
الحياه هـلال الزمان محال
وأطلب والمطلوب وأرجو وتحقيق
عز وجـوده الرجاء محـال
إلى كم أرجى من وقد شاب من رأس
زماني مسرةً الزمان قذال
وبال الطـاووس وعلم الفتى حقاً
ألـوان ريشـه عـلـيه وبـال
وللدهر تفـريق وللجهل داء في
الأحـبة عـادة الطباع عضال
لقد ساد بالمال وأخلاقهم
المصون معاشـر للمـخـزيات عـيال
وبينهم ذل وعندهم كسب
المـطـامـع عـزة الحـرام حـلال

وله:

ضجيعي في ليلى وإلفى في نومي
جوىً ونحـيب ضنىً ولغـوب
دجا ليل آمالي وأبطأ وللمنذرات السود
صـبـحـه فـيه نـعـيب
وتلسعنـي الأيام وتخدعني الآمال
فـهـي أراقـم فهـي كـذوب

ألا ليت شعري هل أبيتـن لـيلة ... وباعي في ظل الوصال رحيب؟
خليلي لاتركن إلى الدهر آمـنـاً ... فإحسانه بالـسـيئات مـشـوب
وكم جاهلٍ قد قال لي أنت ناقص ... فهيج ليث الحقد وهو غضـوب
وعيرني بالعلم والحلم والنـهـى ... قبائل من أهل الهوى وشعـوب
فقلت لهم: لاتعذلوني فـإنـنـي ... لصفو زجاجات العلوم شـروب
وماضرني أني عليم بمـشـكـلٍ ... وقد مس أهل الدهر منه لغوب
لئن عد علم المرء جرماً لـديكـم ... فذلك جرم لست مـنـه أتـوب
كفى حزناً أني مقـيم بـبـلـدةٍ ... بها صاحب العلم الرصين غريب

وذكر أيضاً في هذا الكتاب قال: دخلت على الأمير يعقوب بن اسحاق المظفر بن نظام الملك، فأكرمني وقابلني بالتعظيم والتفخيم فقلت بديهةً:

يعقوب يظهر دائماً في لـفـظـه ... عسلاً لديه يطـمـه يعـسـوبـه
وغدا بحمد الله صدراً مـكـرمـاً ... يعلو نطاق المشتري عـرقـوبـه
فسقى أناملـه حـدائق لـفـظـه ... وجرى على نهج العلا يعبـوبـه
قد غاب يوسف خاطري عن مصره ... ويشم ريح قمـيصـه يعـقـوبـه

فأشار إلى وقال: هل لك أن تنسج على منوالي فيما قلت؟ فأنشدني لنفسه:

أعاذل مـهـلاً لـيس عـذلـك ينـفـع ... وقولـك فـينـا دائمـاً لـيس ينـجـع
وهل يصبر الصب المشوق على الجـوى ... وفي الوصل مشتاق وفي الهجر مجزع؟

يقولون: إن الهجر يشفي من الجوى ... وإن فؤاد الصب في القرب أجزع
بكل تداوينا فلـم ... على أن قرب الدار

يشف مابنا أجدى وأنفع
تحن إلى ظلٍ من وعهدٍ مضى منه
العيشٍ وارفٍ مصيف ومربع

فقلت أيها الصدر: ليس للخل حلاوة العسل، وللتكحل طلاوة الكحل، ومن أين للسراج نور الشمس؟ وللكون سبق الخيل الشمس؟ ومن أين للضباب منفعة السحاب؟ فقال: لابد من ذلك، فجمعت العجالة والبداهة هنالك، وقلت في الحال في مقام الارتحال، وكتبت بقلم الارتحال على قرطاس الاستعجال:

سرى طيفه وهناً ولى وبرق الأماني في دجى
فيه مطمع الهجر يلمع
ويأبى حقين الهجر فلم أدر في مهوى
عذرة طيفه الهوى كيف أصنع؟
لقد يحمد القوم السرى زمان تلاقٍ عنده
في صباحهم الشمل يجمع
وهانا أسرى في أذم صباحي والخلائق
ظلامي وإنني هجع
أقول لصبري أنت ذخرى وذخر الفتى حقاً
لدى النوى شفيع مشفع
وأسكن ماء العين هواء الهوى من تربة
نارى وإنما الطيف أنفع
رأيت معيدي الخيال جهينة أخبار المعيدي
فقال من تسمع
دعوت إلى جيش الهوى فولى وطرف العين في
جندب الهوى النوم يرتع
وقال لنفسي: لعل زماناً قد مضى
لاتموتي صبابةً لك يرجع
ولم يبق مني غير حشاشة نفسٍ ودعت
ماقلت منشداً يوم ودعوا
فلاذ بشمس الدين نجوم لها في مشرق
يعقوب من له المجد مطلع
أجلك يا يعقوب عن كنه لأنك عن مدحي أجل
مدحتي وأرفع

قال: ثم شرفني بعد ذلك بقصيدةٍ أولها: ألا أبلغ إلى سلمى السلاما فأجبت وقلت بعد الجواب علاوةً للتصديع والإبرام، على طريق أداء شكر المنعم اللائق بأحوال الخدم:

يا صاحبي كسدت أسـواق أشـواقـي بالـيت شعري هل سعـد يسـاعـدنـي أم هل سبيل إلى سلـوان مـكـتـئبٍ يا نجل اسحاق يا مـن ثـوب سـودده فما تمهلت في يومـي وغـىً ونـدىً وكل ذكـرٍ وإن طـال الـزمـان بـه

والتفت الساق يوم الهجر بـالـسـاق أم هل لداء الهوى من الناس من راق؟ أم هل طريق إلى إيناس مـشـتـاق؟ قد جل في الدهر عن وهي ابن اسحاق إلا قـضـيت بـآجـــالٍ وأرزاق فانٍ وذكرك في نادي الـنـدى بـاق

علي سليمان الأديب البغدادي

أبو الحسن، أحد الفضلاء المبرزين والظراف المشهورين قرأت بخط أبي سعدٍ قال: ذكر أبو المظفر محمد بن العباس الأبيوردي في كتاب تعلة المشتاق من تصنيفه قال فيه: وقد صممت العزم على معاودة الحضرة الرضوية بخراسان لأنهى إليها ماقاسيته في التأخر عن الخدمة، وعلم الأديب أبو الحسن علي بن سليمانٍ صرى عزمى، فجشم إلى قدمه، وجرى على عادته الرضية في رعاية جانبي تمهيداً لما استمر بيننا من أواصر المودة، ولعمر الفضل إني لم أجد في غربتي هذه فاضلاً يباريه، ولاظريفاً يجاريه، ومن وصف البغدادي بالفضل والظرف فقد كساه الثناء المختصر، وحمل التمر إلى هجر، ومن مليح ماأسمعنيه أنه قال: سألنا أبا القاسم عبد العزيز بن أحمد بن ناقيا البغدادي قلت هكذا، قال عبد العزيز، وصوابه عبد الله ذكرناه في بابه من هذا الكتاب، عن المتنبئ وابن نباته والرضي فقال: إن مثلهم عندي مثل رجلٍ بنى أبنيةً شاهقةً وقصوراً عاليةً وهو المتنبى، فجاء آخر وضرب حولها سرادقات وخيماً، وهو ابن نباته، ثم جاء الرضي ينزل تارةً عند هذا، وتارةً عند ذاك، قلت فأنشدني قال: أنشدني أسبهدوست بن محمد بن أسفارٍ الديلمي قال: أنشدني أبو الفرج الببغاء لنفسه:

أشقيتني فرضيت أن أشقى وزعمت أنك لاتكلمـنـي ليس الذي تبغيه من تلفـى

وملكتني فقتلتني عشـقـا عشراً فمن لك أنني أبقى؟ متعذراً فاستعمل الرفقـا

قال الأبيوردى: وبهذا الإسناد قال: أنشدني ابن الحجاج لنفسه:

ياصروف الدهر حسبي علة عمت وخصـت أنا أشكو حر حـبٍ

أي ذنبٍ كان ذنبـي؟ لحبـيبٍ ومـحـب وهو يشكو برد حبي

قال الأبيوردي: فقل في محبوبٍ حربٍ، وعاشقٍ طربٍ.

علي بن سليمان

يلقب حيدرة اليمني النحوي التميمي، كان من وجوه أهل اليمن وأعيانهم علماً ونحواً وشعراً، وصنف كتباً منها: كتاب في النحو سماه كشف المشكل في مجلدين، وقال فيه يمدحه:

صنفت للمتأدبين مصنفاً — سميته بكتاب كشف المشكل
سبق الأوائل مع تأخر عصره — كم آخرٍ أزرى بفضل الأول
قيدت فيه كل ماقد أرسلوا — ليس المقيد كالكلام المرسل

ومولده ببلاد بكيلٍ من أعمال ذمار، ومات سنة تسعٍ وتسعين وخمسمائةٍ، ومن شعره يحصره جمع التكسير:

سألت عن التكسير فاعلم بانها — ثمانية أوزان جمع المكسر
فأربعة أوزان كل مقللٍ — وأربعة أوزان كل مكثر
فعال وأفعال وفعل وأفعلة منها وفعلات وأفعل — وفانظر
ومنها فعول ياأخي وفعلة — وتمثيلها إن كنت لما تصور
جمال وأفراس وأسد وأكبش — وأكسية حمر لفتيان حمير
أتونا عشاء في ربوع لفتيةٍ — من التغلبيين الكرام ويشكر
وكل خماسيٍ إذا ماجمعته — فآخره فاحذف ولاتتعثر
فتجمع قرطعباً به مسلك الجمع — قراطع سالكاً الرباعي المكثر

قلت أنا: هذا عجب ممن صنف كتاباً كبيراً في النحو يقول: جمع المكثر أربعة أوزانٍ وهي على نحوٍ من خمسين وزناً.

علي بن سليمان بن الفضل الأخفش

أبو الحسن، وهو الأخفش الصغير، وهناك الأخفش الأكبر، وهو أبو الخطاب عبد الحميد وقد ذكر، والأوسط وهو أبو الحسن سعيد بن مسعدة وقد مر في بابه، وهناك أخفش آخر، وهو عبد العزيز بن أحمد المغربي الأندلسي، وقد ذكر في بابه أيضا وغيرهم.
ومات علي بن سليمان هذا في شعبان سنة خمس عشرة وثلاثمائةٍ، ودفن بمقبرة قنطرة البردان، وذكر ذلك المزرباني. قال المزرباني في كتاب المقتبس: ذكر جماعة لقيناهم من النحويين وأهل اللغة. منهم علي بن سليمان بن الفضل الأخفش، ولم يكن

بالمتسع في الرواية للأخبار والعلم بالنحو، وما علمته صنف شيئاً ألبته ولاقال شعراً، وكان إذا سئل عن مسائل النحو ضجر وأنتهر كثيرا من يواصل مساءلته ويتابعها، ثم ذكر وفاته كما تقدم قال: وشهدته يوماً وصار إليه رجل من حلوان كان يلزمه فحين رآه قال له:

حياك ربك أيها الحلـوانـي ووقاك ما يأتي من الأزمان

ثم التفت إلينا وقال: ما نحن من الشعر إلا هذا وماجرى مجراه. هكذا ذكر أبو عبيدة الله تلميذه وصاحبه. وقال الجوهرى: الأجلع: الذي لاتنضم شفتاه على أسنانه، وكان الأخفش الأصغر النحوي أجلع. ووجدت في كتاب فهرست ابن النديم بخط مؤلفه، وذكر الأخفش هذا فقال: له من التصانيف: كتاب الأنواء، وكتاب التثنية والجمع، وكتاب شرح سيبويه حدثني الصاحب الوزير جلال الدين القاضي الأكرم أبو الحسن علي بن يوسف القفطي- أدام الله أيامه - أنه ملكه في خمسة أجلادٍ. وكتاب تفسير رسالة كتاب سيبويه رأيته في نحو خمس كراريس، وكتاب الحداء، ووجدت أهل مصر ينسبون إليه كتاباً في النحو هذبه أحمد بن جعفرٍ الدينوري وسماه المهذب. وحدث أبو عبيدة الله: حضرت يوماً أبا الحسن الأخفش ودفع كتاباً إلى بعض من كان في مجلسه ليكتب عليه اسمه، فقال له أبو الحسن: خفش خفش يريد اكتب الأخفش ثم قال: أنشدنا أبو العباس المبرد:

لاتكرهن لقباً شهرت بـه فلرب محظوظٍ من اللقب
قد كان لقب مرة رجـل بالوائلي فعد في العـرب

قال الأخفش: دعاتي سوار بن أبي شراعة فتأخرت عنه وكتب إلى:

مضى النور واشتبهم الأغطش وأخلفني وعـده الأخـفـش
وحال وحـالـت بـه شـيمة كما حال عن لونه البرقـش
أبا حسن كنت لي مـألـفـاً فمالك عن دعوتى تطـرش
وكنت لأعدائك الـشـانـئيك سماماً كما نفـث الأرقـش
وكنت بقربـك فـي روضةٍ فها أنا والبلد المـعـطـش

إذا قلت قرطست في صاحبٍ نزعت كما ينزع المرعـش
وسيان عندي من عـقـنـي عقوقك والحية الحـربـش
أقول وماحلت عن عـهـده رأيتك كالناس إذ فـتـشـوا

وحدث - أخلي في الأصل - قال: كان ابن الرومي كثير الهجاء للأخفش، وذاك أن ابن الرومي كان كثير الطيرة وكان الأخفش كثير المزاح، وكان يباكره قبل كل أحدٍ فيطرق الباب على ابن الرومي فيقول: من بالباب؟ فيقول الأخفش: حرب بن مقاتلٍ، وما أشبه ذلك، فقال ابن الرومي يهجوه ويتهدده:

قل لنحـوينـا أبـي حـسـنٍ — إنى حسام متى ضربت مضى
لاتحسبن الهجاء يحفـل بـال — رفع ولاخفض خافضٍ خفضا
كأنني بالشـقـي مـعـتـذرا — إذا القوافي أذقنه مضـضـا
ينشدني العهـد يوم ذاك ولـل — عهد خضاب أزاله فنـضـا

قال المزرباني: فحدثني المظفر بن يحيى قال: حدثني أبو عبد الله النحوي أن الأخفش قال يوما لابن الرومي: إنما كنت تدعى هجاءٍ مثقالٍ، فلما مات مثقال انقطع هجاؤك. قال فاختر على قافيةً. قال: على روى قصيدة دعبلٍ الشينية، فقال قصيدته التي يهجوه فيها ويجود حتى لايقدر أحد أن يدفعه عن ذلك، ويفحش حتى يفرط أولها:

ألا قل لنحويك الأخفـش — أنست فأقصر ولاتوحش
وماكنت عن غيةٍ مقصراً — وأشلاء أمك لم تنبـش

قال فيها:

أمـا والـقـريض ونـقـاده — ونجشك فيه مع الـنـجـش
ودعواك عـرفـان نـقـاده — بفضل النقى على الأنـمـش
لئن جئت ذا بـشـرٍ حـالـكٍ — لقد جئت ذا نـسـبٍ أبـرش
ومواحـد جـاء مـن أمـه — بأعجب من ناقـدٍ أخـفـش
كأن سنا الشتم في عـرضـه — سنا الفجر في السحر الأغبش
أقـول وقـد جـاءنـي أنـه — ينوش هجائي مع الـنـوش
إذا عكس الدهر سطا أضعف القوم

أحـكـامـه بالأبطش
وماكل من أفحـشـت تعرض للقـذع
أمـه الأفـحـش

وهي قصيدة طويلة، ولما سار هجاؤه في الأخفش، جمع الأخفش جماعةً من الرؤساء، وكان كثير الصدق، فسألوا ابن الرومي أن يكف عنه، فأجابه إلى الصفح عنه، وسألوه أن يمدحه بما يزيل عنه عار هجائه فقال فيه:

ذكر الأخفش القديم إن للأخفش الحديث
فقلـنـا: لفضلا
فإذا ماحكمت والروم في كلامٍ معربٍ كنت
قومي عدلا
أنا بين الخصوم فيه لا أرى الزور للمحاباة
غـريب أهلا
ومتى قلت باطلاً لم فيلسوفاً ولم أسمى
ألقـب هرقـلا

وذكر الزبيدي أن الأخفش كان يتحفظ هجاء ابن الرومي له ويمليه في جملة مايملي، فلما رأى ابن الرومي أنه لم يألم لهجائه ترك هجوه. وكان الأخفش قد قرأ على ثعلبٍ والمبرد وأبي العيناء واليزيدي.

وحدث الأخفش قال: استهدى إبراهيم بن المدبر المبرد جليساً يجمع إلى تأديب ولده الاستمتاع بإيناسه ومفاكهته، فندبني إليه وكتب معي: قد أنفذت إليك - أعزك الله - فلاناً وجملة أمره:

إذا زرت الملوك فإن شفيعاً عندهم أن
حسبي يخبروني

وقدم الأخفش هذا مصر في سنة سبعٍ وثمانين ومائتين، وخرج منها سنة ثلاثمائةٍ إلى حلب مع علي ابن أحمد بن بسطام صاحب الخراج فلم يعد إلى مصر.

وحدث أبو الحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابئ في كتابه كتاب الوزراء قال: حكى لي أبو الحسن ثابت بن سنان قال: كان أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش مواصل المقام عند أبي علي بن مقلة ويراعيه أبو علي ويبره. فشكا إليه في بعض الأيام الإضاقة، وسأله أن يكلم أبا الحسن على بن عيسى وهو يومئذٍ وزيره في أمره، وسأله إجراء رزقٍ عليه في جملة من يرتزق من أمثاله، فخاطبه أبو علي وسأل أن يجري عليه رزقاً في جملة الفقهاء، فأنتهره علي بن عيسى انتهاراً شديداً وأجابه جواباً غليظاً، وكان ذلك في مجلسٍ حافلٍ، ومجمعٍ كاملٍ فشق على أبي عليٍ وماعامله به، وقام من مجلسه وقد اسودت الدنيا في عينيه، وصار إلى منزله لائماً لنفسه على سؤال علي بن عيسى ما سأله،

وحلف أنه يجرد في السعي عليه، ووقف الأخفش على الصورة واغتم وانتهت به الحال إلى أن أكل الشلجم النييء، وقيل إنه قبض على قلبه فمات فجأة، وكان موته في شعبان سنة خمس عشرة وثلاثمائةٍ.

علي بن سهل بن العباس

أبو الحسن النيسابوري المفسر العالم العابد الدين، ذكره عبد الغفار في السياق وقال: مات في ثالث عشر ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وأربعمائةٍ، ووصفه فقال: نشأ في طلب العلم وتبحر في العربية، وكان من تلامذة أبي الحسن الواحدي

علي بن طاهر بن جعفرٍ

أبو الحسن السلمى النحوي. نقلت من خط ابن اللبان قال: نقلت من خط السمعاني قال: أخبرني أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الحافظ الدمشقي أنه سمع عبد الله بن سلوان وغيره، وكان ثقةً ديناً وقلما يكون النحوي ديناً، ذكر ابن الأكفاني أنه مات في الحادي والعشرين من شهر ربيعٍ الأول سنة خمسمائةٍ، وذكر الحافظ في تاريخ دمشق قال: علي بن طاهر بن جعفر بن عبد الله أبو الحسن القيسي السلمي النحوي، سمع أبا عبد الله ابن سلوان وأبا القاسم بن الشمشاطي، وأبا نصرٍ أحمد ابن علي بن الحسن الكفرطابي وذكر جماعةً قال: وروى عنه غيث بن علي.

وحدثنا عنه الفقيه أبو الحسن السلمي، وخالي القاضي أبو المعالي، وجميل بن تمام، وحفاظ بن الحسن، وكان ثقةً وكانت له حلقة في الجامع، وقف فيها خزانةً فيها كتبه. ذكر أبو محمد بن صابرٍ أنه سأله عن مولده فقال: سنة إحدى وثلاثين وأربعمائةٍ. وذكر ابن الأكفاني أن أبا الحسن بن طاهرٍ النحوي مات يوم الحادي والعشرين من شهر ربيعٍ الأول سنة خمسمائةٍ.

علي بن طلحة بن كردان النحوي

أبو القاسم. قال أبو غالب بن بشران: كان ابن كردان يعرف بابن الصحناتي ولم يبع قط الصحناة، وإنما كان أعداؤه يلقبونه بذلك فغلب عليه قال: وهذا الشيخ أول الشيوخ الذين قرأت عليهم الأدب: قال السلفي الحافظ: سألت خميس بن علي الحوزي عن ابن كردان فقال: صحب أبا علي الفارسي وعلي بن عيسى الرماني، وقرأ عليهما كتاب سيبويه، والواسطيون يفضلونه على ابن جنيٍ والربعي، صنف كتاباً كبيراً في إعراب القران، قال لي شيخنا أبو الفتح: كان يقارب خمسة عشر مجلداً، ثم بدا له فيه فغسله قبل موته، مات سنة أربعٍ وعشرين وأربعمائةٍ، وكان متنزهاً متصوناً، ركب إليه فخر الملك أبو غالبٍ محمد بن علي ابن خلفٍ وزير ابن بهاء الدولة وهو سلطان

الوقت، وبذل له فلم يقبل، وكان قد جرت بينه وبين القاضي أبي تغلب أحمد بن عبيد الله العاقولي صديق الوزير المغربي وخليفة السلطان والحكام على واسط في وقته خصومة، وكان معظماً مفخماً، فقال له ابن كردان: إن صلت علينا بمالك صلنا عليك بقناعتنا. وآخر من حدث عنه أبو المعالي محمد بن عبد السلام بن شاندة، وذكره أبو عبد الله محمد بن سعيد الدبيني في نحاة واسط فقال: علي بن طلحة بن كردان النحوي أبو القاسم الواسطي المولد والدار، أخذ النحو عن أبي علي الفارسي وأبي بكر بن الجراح صاحب ابن الأنباري، قال ابن بشران: هو أول شيخٍ قرأت عليه ووصفه بالفضل والمعرفة، وعنه أخذ النحو أبو الفتح محمد بن محمد ابن مختار وغيره من الواسطيين وكان شاعرا، ومن شعره ذم واسط:

سئم الأديب من المقام بواسطٍ — إن الأديب بواسطٍ مهجور
يابلدةً فيها الغنى مكرم — والعلم فيها ميت مقبور
لاجادك الغيث الهطول ولااجتلى — فيك الربيع ولاعلاك حبور
شر البلاد أرى فعالك ساتراً — عني الجميل، وشرك المشهور

حدث أبو الجوائز الحسن بن علي بن باري الكاتب الواسطي قال: اجتمع معنا في حلقة شيخنا أبي القاسم علي بن كردان النحوي سيدوك الشاعر ونحن في الجامع بواسط بعد صلاة الجمعة وجرى في عرض المذكرات ذكر من أحال على قلبه بالعشق، ومن أحال على ناظره به أيضاً ومضت أناشيد في ذلك، فقال أبو طاهرٍ سيدوك: قد حضرني في هذا المعنى شيء وأنشدنا:

ياقلب من هذا حذرت عليكا — ذق ما جنيت فكم نصحت اليكا
إنضج بنارك لاأراحك حرها — فلطالما ضاع العتاب لديكا
لما أطعت الطرف ثم عصيتني — علق الهوى ياقلب من طرفيكا

وسمعت أذان العصر فقلت لشيخنا: أكتبها قبل إقامة الصلاة أو إذا صلينا؟ قال: اكتبها ولوأن الإمام على المنبر، وأنشدنا حينئذ لنفسه:

أبصرت في المأتم مقدودةً — تقضى ذماماً بتكاليفها
تشير باللطم إلى وجنةٍ — ضرجها مبدع تأليفها
إذا تبدى الصبح من جمشة ليل

وجهها تطاريفـهـا

وحدث أبو غالب بن بشران النحوي. قال: أنشدني أبو القاسم على بن طلحة بن كردان النحوي قال: أنشدني أبو طاهر سيدوك لنفسه وكان يعرض على شعره، وقد ابتكر معنى غريباً وإن كان اللفظ قريباً:

إن دائي الغداة أبرح داء وطبيبي سريرة ماتبوح

يحسبوني إذا تكلمت حياً ربما طار طائر مذبوح

قال ابن كردان وأنشدني سيدوك أيضاً لنفسه:

أستودع الله من بانوا فلا نظـري منـي ولاأذنى عندي ولابـصـري

عهدي بنا ورداء الوصل يشملـنـا والليل أطوله كاللمح بالبـصـر

والآن ليلى مذ غابـوا فـديتـهـم ليل الضرير وصبحي غير منتظر

علي بن ظافر بن الحسين الأزدي

وكنية ظافرٍ أبو المنصور، وهو مصري وزر للملك الأشرف موسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، وكان نعم الرجل، له علوم جمة وفضائل كثيرة، ثم ترك الوزارة وعاد إلى مصر فتوفى بها في منتصف شعبان سنة ثلاث عشرة وستمائةٍ عن ثمان وأربعين سنةً.

وله من التصانيف: كتاب بدائع البدائة فيمن قال شعراً على البديهة، وكتاب مكرمات الكتاب، وكتاب أخبار الشجعان، وكتاب من أصيب بمن اسمه علي وابتدأ بعلي بن أبي طالبٍ عليه السلام، وكتاب الدول المنقطعة، وكتاب التشبيهات، وكتاب أساس السياسة، وكتاب أخبار السلجوقية.

علي بن العباس النوبختي

أبو الحسن، أحد مشايخ الكتاب وأهل الأدب المشاهير والمروءة. روى من أخبار البحتري وابن الرومي قطعةً حسنةً، ومات سنة تسع وعشرين وثلاثمائةٍ بعد سن عاليةٍ، وهو القائل لابن عمه أبي سهل اسماعيل بن علي النوبختي وشرب دواءً:

يامحي العارفات والـكـرم وقاتل الحادثـات والـعـدم

كيف رأيت الدواء وأعقبك ال لـه شفاءً به من الـسـقـم?

لئن تخـطـت إلـيك نـائبة حطت بقلبي ثقلاً من الألـم

شربت فيها الدواء مرتـجـياً دفع أذى من عظامك العظم
والدهر لابد محدث طبـعـاً في صفحتي كل صارم خذم

علي بن عبد الله بن سنان الطوسي

أبو الحسن التيمي أحد أعيان علماء الكوفة، أخذ عن ابن الأعرابي، وكان عدواً لابن السكيت لأنهما أخذا عن نصران الخراساني واختلفا في كتبه بعد موته، - أخلي في الأصل - ذكره المرزباني فقال: حدثنا محمد بن يحيى عن إبراهيم بن المعلى الباهلي قال: أكثرت يوماً سؤال الطوسي فقال متمثلاً:

يسر ويعطى كل شيء سألته ومن يكثر التسآل لابد يحرم

قال: ووجه بإنسان في حاجةٍ فقصر فقال:

نحلت وكلفناك مـالـم تـقـم بـه وهل تحمل الفصلان أحمال بزل?

قال محمد بن إسحاق: كان الطوسي راويةً لأخبار القبائل وأشعار الفحول، ولقى مشايخ البصريين والكوفيين.

قال: ولامصنف له. وكان شاعراً ذكر له المزرباني قوله:

هجـم الـــبـــرد ولاأم لك إلا رواية الـعـربـــية
وقميصاً لو هبت الريح لـم يب ق على عاتقي منـه بـقـية
هل يفل الفناء عني فنـون ال علم إن أعصفت شمال عرية?

قال: وقال أحمد بن أبي طاهرٍ يرثي الطوسي الراوية بقصيدةٍ طويلةٍ منها:

من عاش لم يخل من هم ومن حزن بين المصائب من دنياه والمـحـن
والموت قصد امرئ مد البقاء لـه فكيف يسكن من عيشٍ إلى سكـن
وإنما نحن في الدنيا على سـفـر فراحلٍ خلف الباقي على الظعـن
ولا أرى زمناً أردى أبـا حـسـنٍ وخان فيه على حرٍ بمـؤتـمـن
لقد هوى جبل للمجد به الجبال الرواسي لـو وزنـت الشم لم تـزن
وأصبح الحبل حبل الدين منتـثـراً وأدرج العلم والطوسي في كفـن

من لم يكن مثله في سالف الزمـن ولم يكن مثله في غابر الزمـن؟

علي بن عبد الله بن علي بن الحسين

ابن زيد بن علي بن الحسن بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالبٍ عليهم السلام، أبو القاسم العلوي المعروف بالشبيه. سمع محمد بن المظفر، وكتب عنه علي بن أحمد الحافظ وقال: كان ديناً حسن الاعتقاد يورق بأجرةٍ ويأكل من كسب يده، ويواسي الفقراء من كسبه، سألته عن مولده فقال: ولدت في ليلة عيد الأضحى سنة ستين وثلاثمائةٍ، ومات في العشر الأول من رجبٍ سنة إحدى وأربعين وأربعمائةٍ.

قال الشريف أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمدٍ العلوي العمري النسابة في كتاب الشافي في النسب من تصنيفه: ومنهم - يعني من ولد الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام - زيد النسابة الجليل صاحب كتاب المبسوط، - ويلقب الشبيه - ابن علي بن الحسين بن زيدٍ الشهيد عليه السلام، فمن ولده ببغداد أبو الفضل الحسن صاحب العوجاء، وأخوه أبو القاسم علي الموضح الناسخ، له خط مليح ابنا أبي محمد عبد الله ابن عبد الله الحسين النقيب بن علي بن الحسين بن زيد الشبيه، به يعرفون، - وله بقية -. وجدت على ظهر ديوان عروة بن الورد بخط ابن الشبيه وكان الديوان كله بخطه:

ديوان عروة العبسي أوضحـه خط امرئ زاده حسنا وتبيينـا

تجل الأكارم من آل الشبيه فتى بجده ختم اللـه الـنـبـيـنـا

صلى الإله عليه مادجا غسـق ويرحم الله عبدا قال آمـيـنـا

علي عبد الله بن أحمد النيسابوري

المعروف بابن أبي الطيب، مولده بنيسابور، وموطنه قصبة سابزوار، وكان له معرفة تامة بالقران وبتفسيره، مات في ثامن شوالٍ سنة ثمان وخمسين وأربعمائةٍ، ودفن في مقبرة سابزوار، وقد عمل أبو القاسم علي بن محمد أبن الحسين بن عمروٍ من دهاقين وميمولان مدرسةً باسمه في محلة اسفريس في رمضان سنة عشرٍ وأربعمائةٍ، وأثرها إلى الآن باقٍ، وكان له تلاميذ كثيرة منهم أبو القاسم علي بن محمد بن الحسن بن عمروٍ وغيره، وله عدة تصانيف في تفسير القران المجيد منها: كتاب التفسير الكبير في ثلاثين مجلداً، وكتاب التفسير الأوسط أحد عشر مجلداً، وكتاب التفسير الصغير ثلاث مجلداتٍ. وكان يملي ذلك من حفظه، ولما مات رحمه الله لم يوجد في خزانة كتبه إلا أربع مجلداتٍ، أحدها فقهي، وآخر أدبي، ومجلدان في التاريخ، ودفن في مقبرة سابزوار، وعنده دعوة مستجابة مجربة، وحمل في

سنة أربع عشرة وأربعمائةٍ إلى السلطان محمود بن سبكتكين، فلما دخل عليه جلس بغير إذنٍ وشرع في رواية خبرٍ عن النبي صلى الله عليه وسلم بغير أمرٍ من السلطان، فقال السلطان لغلامٍ: يا غلام ده رأسه، فلكمه على رأسه لكمةً كانت سبباً إلى قلة سمعه وطرشه، ثم عرف السلطان منزلته من الدين والعلم والنزاهة والورع فاعتذر إليه وأمر له بمالٍ فلم يقبله وقال: لاحاجة لى في المال، فإن استطعت أن ترد على ماأخذته مني قبلته وهو سمعي، فقال له السلطان: أيها الرجل، إن للملك صولةً وهو مفتقر إلى السياسة، ورأيتك قد تعديت الواجب فجرى مني ماجرى، والآن فأحب أن تجعلني في حلٍ. فقال: الله بيني وبينك بالمرصاد، ثم قال له: إنما أحضرتني لسماع الواعظ وأخبار الرسول والخشوع، لالإقامة قوانين الملك واستعمال السياسة، فإن ذلك يتعلق بالملوك وأمثالهم لابالعلماء، فخجل السلطان وجبذ برأسه إليه وعانقه. ومن كلامه في خطبة التفسير: الزمان زمان سفهاء السفل، والقران قران انقلاب النحل والفضل في أبنائه فضول، وطلوع التمييز فيهم أفول، والدين دين، والدنيا عين، وإن تحلى أحدهم بالعلوم، وادعى أنه في الخصوص من العموم، فغايته أن يقرأ القران وهو غافل عن معانيه، ويتحلى بالفضل وهو لايدانيه، ويجمع الأحاديث والأخبار، وهو فيها مثل الحمار يحمل الأسفار. وله ديوان شعرٍ ومن شعره في دمية القصر:

فلك الأفاضل أرض نيسابـور مرسى الأنام وليس مرسى بور

دعيت أبرشهر البـلاد لأنـهـا قطب وسائرها رسوم السـور

هي قبة الإسلام نائرة الصـوى فكأنها الأقمار في الـديجـور

من تلق منهم تلقه بـمـهـابةٍ زفت عليه بفضله المـوفـور

لهم الأوامر والنواهي كلـهـا ومدى سواههم رتبة المأمـور

نقلت جميع ذلك من تاريخ بيهق لأبي الحسن بن أبي القاسم البيهقي مصنف كتاب وشاح الدمية.

علي بن عبد الله بن محمد بن الهيصم

الهروي الإمام صدر الإسلام مات - انقطع في الأصل - ذكره أبو الحسن البيهقي في كتاب الوشاح فقال: قد بلغ من العلم أطوريه، فلا فضل إلا وهو منسوب إليه، ورست بالفصاحة قواعده، واشتد بالزهادة ساعده، وقد اختلفت مدةً مديدةً إليه، وقرأت ماشئت من دقائق العلوم عليه، ووجدته حالاً عقود المشكلات، فاتق رتوق المعضلات، ولعمري إنه - رحمه الله - كشف عن العلوم نقابها، ورفع عن الحقائق حجابها، فلم يكن في عصره فاضل إلا وقد اغترف من بحاره، واقتبس من أنواره، وتصانيفه كثيرة، وسعيه مشهور، وسعى الناظر فيه مشكور، ومن تصانيفه: كتاب مفتاح البلاغة، كتاب البسملة، كتاب نهج الرشاد، كتاب عقود الجواهر، كتاب لطائف النكت، كتاب تصفية القلوب، كتاب ديوان شعره، ومن منظومه:

ضحك الربيع بعبـرة الأنـداء ومن العجائب ضاحك ببكـاء

خرجت له نحو الشتاء كـتـيبة ذعرت مواكبه عن الصحراء

ركبت فوارسه الهواء فجردت سيف جلا جيش الدجى بضياء

رق الربيع لها فأرسل نحوهـا بشرى بغيم في نسـيم هـواء

والغصن قرط أذنه بـدراهـمٍ مضروبةٍ من فضةٍ بـيضـاء

والروض ألبس حلةً مـوشـيةً أحسن بها من صنعة الأنـداء

قضبان نخلٍ أخرجت ذهباً لَنـا أعجب بها من صيرفٍ معطاء

وشقائق النعمان تشبه صارخاً متظلماً متشحطـاً بـدمـاء

والزعفران كأنما فرشت به ديباجة نسجت من القمـراء

ساءلتها هلا برزت لناظـرٍ صبٍ كشيبٍ هائمٍ بـكـاء?

فأبت وآلت لايحل نقابـهـا إلا مجير الدولة الـغـراء

وله:

هنيئاً لك العيد المبـارك ياصـدر وساعدك الإقبال واليمن والنصـر

إذا ماأعاد العيد للنـاس نـضـرةً فقد ألبس الأعياد من وجهك البشر
وإن نشرت أعلام دين مـحـمـدٍ فذكرك في أقصى البلاد له نشر
وإن أحرم الحجاج عن جل حالهم فأحرم عمن دونك الفضل والفخر
وإن كان لبى للـزيارة مـحـرم فلبى إلى أوصافك النظم والنثـر
وإن جمعوا فرضين ثم وقصـروا فللدين والدنيا بك الجمع والقصر
وإن طوفوا بالبيت سبعاً وأحرمـوا فما طاف إلا بابك الأنجم الزهـر
وإن ضحت الأقوام بالبـدن سـنةً فضح بمن عاداك ماانفلق الفجـر

علي بن عبد الله بن وصيف الناشئ

الحلاء، ويكنى أبا الحسين. قال ابن عبد الرحيم: حدثني أبو عبد الله الخالع قال: حدثني الناشئ قال: كان جدي وصيف مملوكا، وكان عبد الله أبي عطاراً في الحضرة بالجانب الشرقي، وكنت لما نشأت معه في دكانه كان ابن الرومي يجلس عندنا وأنا لاأعرفه، وكان يلبس الدراعة وثيابه وسخة، وانقطع عنا مدةً فسألت عنه أبي وقلت: مافعل ذلك الشيخ الوسخ الثياب الذي كان يجلس الينا؟ فقال: ويحك ذاك ابن الرومي وقد مات، فندمت إن لم أكن أخذت عنه شيئاً ولاعرفته في حال حضوره وتشاغلت بالصنعة عن طلب العلم، ثم لقيت ثعلباً ولم آخذ عنه إلا أبياتا منها:

إن أخا الإخوان من يسعى معك ومن يضر نفسه لينـفـعـك

قال الخالع: وكان الناشئ قليل البضاعة في الأدب قئوماً بالكلام والجدل، يعتقد الإمامة ويناظر عليها بأجود عبارةٍ، فاستنفد عمره في مديح أهل البيت حتى عرف بهم، وأشعاره فيهم لاتحصى كثرةً، ومدح مع ذلك الراضي بالله وله معه أخبار، وقصد كافوراً الإخشيدي بمصر وامتدحه، وامتدح ابن حنزابة وكان ينادمه، وطرى إلى البريدي بالبصرة، وإلى أبي الفضل بن العميد، بأرجان، وعضد الدولة بفارس، وكان مولده على ماخبرني به سنة إحدى وسبعين ومائتين، ومات يوم الاثنين لخمسٍ خلون من صفرٍ سنة خمسٍ وستين وثلاثمائةٍ، وكنت حينئذٍ بالري فورد كتاب ابن بقية إلى ابن العميد بخبره، وقيل: إنه شيع جنازته ماشيا وأهل الدولة كلهم، ودفن في مقابر قريشٍ وقبره هناك معروف.

قال الخالع: ولم يخلف عقباً ولاعلمت أنه تزوج قط، وكان يميل إلى الأحداث ولايشرب النبيذ، وله في المجون والولع طبقة عالية، وعنه أخذ مجان باب الطاق كلهم هذه الطريقة، وكان يخلط بجده ومناظرته هزلاً مستلمحاً ومجوناً مستطاباً يعتمد به إخجال خصمه وكسر حده، وله في ذلك أخبار مشهورة، وكانت له جارية سوداء تخدمه، فدخل يوماً إلى دارأخته وأنامعه، فرأى صبياً صغيراً أسود فقال لها: من هذا؟ فسكتت فألح عليها فقال: ابن بشارة، فقال: ممن؟ فقالت من أجل هذا أمسكت، فاستدعى الجارية وقال لها: هذا الصبي من أبوه؟ فقالت ماله أب، فالتفت إلى فقال: سلم إذاً على المسيح عليه السلام.

قال ابن عبد الرحيم: حدثني الخالع قال: حدثني الناشئء قال: أدخلني ابن رائق على الراضي بالله، وكنت مداحاً لابن رائق ونافقاً عليه، فلما وصلت إلى الراضي قال لي: أنت الناشئ الرافضي؟ فقلت خادم أمير المؤمنين الشيعي. فقال: من أي الشيعة؟ فقلت: شيعة بني هاشم. فقال: هذا خبث حيلةٍ. فقلت: مع طهارة مولدٍ. فقال هات مامعك. فأنشدته فأمر أن يخلع على عشر قطع ثياباً، وأعطى أربعة آلاف درهم، فأخرج إلى ذلك وتسلمته وعدت إلى حضرته فقبلت الأرض وشركته وقلت: أنا ممن يلبس الطيلسان. فقال: هاهنا طيالس عدنية، أعطوه منها طيلساناً، وأضيفوا إليها عمامة خزٍ ففعلوا. فقال: أنشدني من شعرك في بني هاشم فأنشدته:

بني العباس إن لكم دماءً ... أراقتها أمية بالدخـول

فليس بهاشميٍ من يوالي ... أمية واللعين أبا زبـيل

فقلت مابينك وبين أبي زبيلٍ؟ فقلت: أمير المؤمنين أعلم. فابتسم وقال: انصرف. قال الخالع: وشاهدت العمامة والطيلسان معه وبقيا عنده إلى أن مات. قال: وحدثني الخالع قال: كان أبو الحسن شيخاً طويلاً جسيماً عظيم الخلقة، عريض الألواح، موفر القوة، جهوري الصوت، عمر نيفاً وتسعين سنةً، لم تضطرم أسنانه، ولاقلع سناً منها ولامن أضراسه. وكان يعمل الصفر ويخرمه، وله فيه صنعة بديعة. قال: ومن عمله قنديل بالمشهد بمقابر قريش مربع غاية في حسنه. قال الخالع: ومن مجونه في المناظرات وغيرها: أنه ناظر أبا الحسن على بن عيسى الرماني في مسألةٍ فانقطع الرماني وقال: أعاود النظر، وربما كان في أصحابي من هو أعلم مني بهذه المسألة، فإن ثبت الحق معك وافقتك عليه، فأخذ يندد به. ودخل أبو الحسن علي بن كعب الأنصاري أحد المعتزلة فقال: في أي شيء أنتم ياأبا الحسن؟ فقال: في ثيابنا، فقال: دعنا من مجونك وأعد المسألة، فلعلنا أن نقدح فيها فقال: كيف تقدح وحراقك رطب؟ ومنه حكايته المشهورة مع الأشعري الذي ناظره فصفعه فقال: ماهذا ياأبا الحسين؟ فقال: هذا فعل الله بك، فلم تغضب مني؟ فقال: مافعله غيرك، وهذا سوء أدب وخارج عن المناظرة، فقال: ناقضت. إن أقمت على مذهبك فهو من فعل الله، وإن انتقلت فخذ العوض، فانقطع المجلس بالضحك وصارت نادرةً.

قال عبيد الله الفقير إليه تعالى مؤلف هذا الكتاب: لو كان الأشعري ماهراً لقام إليه وصفعه أشد من تلك ثم

يقول له: صدقت، تلك من فعل الله بي، وهذه من فعل الله بك، فتصير النادرة عليه لا له.

قال الخالع: فأنشدني يوماً لنفسه من قصيدةٍ:

تجاه الشظا جنب حيال الربى
الحمى فالمشرف فالشاهق المتشـرف

فقلت له بم ارتفعت هذه الأسماء وهي ظروف؟ فقال بما يسوءك، وبعد هذا البيت:

طلول أطال الحزن وألزمني وجداً عليها
لي حزن نهجها الـتـأسـف

فإذا حمل ماقاله على أن يجعل تلك الظروف هي الطلول، وهي: ماشخص من الأرض، وجعلت شخوصاً جاز الرفع على هذا التأويل، وإن جعلت محال للطلول فليس إلا النصب، ومن هذه القصيدة:

وقفت على أرجائها عن الخرد الأتراب
أسأل الـربـى والدار صفصف
وكيف يجيب عفتها شآبيب من
السـائلـين مـرابـع المـزن وكـف؟

ومنها وصف الخمر:

دنان كرهبان عليهـا من الخزد كن يوم
بـرانـس فصح تصفف
ينظم منها المزج إذا مابدا في الكأس
سلكـاً كـأنـه در منصف

ومن مجون الناشئ: أنه ناظر بعض المجبرة فحرك الجبري يده فقال للناشئ: هذه من حركها؟ فقال الناشئ: من أمه زانية. فغضب الرجل فقال له: ناقضت، إذا كان المحرك غيرك فلم تغضب؟ قال عبيد الله الفقير إليه: وهذا أيضاً كفر وبهت، لأن المحرك لها على اعتقاد الناشئ مناظره، فيكون قد أساء العشرة مع جليسه، وعلى مذهب صاحبه الخالق، فيكون قد كفر، فعلى كل حال هو مسيء. وسمع يوماً رجلاً ينادي على لحم البقر: أين من حلف ألا يغبن؟ فقال له: إيش تريد منه؟ تريد أن تحنثه؟ ولقب رجلاً من باب الطاق بالأبعد، ولقب آخر بالآخر وهاتان لفظتان جامعتان لكل سبٍ وقذفٍ، لأن الناس مغرون بإلحاق كل قبيحٍ فظيعٍ بهما، على سبيل الكناية والاستراحة في الكلام إليهما.

قال الخالع: وحدثني الناشئ قال: لما وفدت على سيف الدولة وقع في أبو العباس النامي وقال: هذا يكتب التعاويذ. فقلت لسيف الدولة: يتأمل الأمير فإن كان يصلح أن يكتب مثله على المساجد بالربج فالقول كما قال: فأنشدته قصيدة أولها:

الدهر أيامه ماضٍ ومرتقب

وقلت فيها:

فارحل إلى حلبٍ من نيل كفك إن
فالخير منحلب لاحت لنا حلب

فقال أبا الحسين: بيت جيد لكنه كثير اللبن وأنشدته قصيدة أخرى أقول فيها:

كان مشيبي إذ يلـوح وأقتل ماأبصرت بيض
عـقـارب العقـارب
كأن الثريا عـوذة فـي وقد حليت

تـمـيمةٍ واستودعت حرز كاعب

وحدث الخالع قال: حدثني أبو الحسن الناشئ قال: كنت بالكوفة في سنة خمسٍ وعشرين وثلاثمائةٍ وأنا أملي شعري في المسجد الجامع بها والناس يكتبونه عني، وكان المتنبي إذ ذاك يحضر معهم وهو بعد لم يعرف ولم يلقب بالمتنبي، فأمليت القصيدة التي أولها:

بآل محمد عرف الصواب وفي أبياتهم نزل الكتاب

وقلت فيها:

كأن سنان ذابلـه ضـمـير فليس عن القلوب له ذهاب

وصارمه كبيعـتـه بـخـمٍ مقاصدها من الخلق الرقاب

فلمحته يكتب هذين البيتين، ومنها أخذ ماأنشدتموني الآن من قوله:

كأن الهام في الهيجا عـيون وقد طبعت سيوفك من رقاد

وقد صغت الأسنة من هموم فما يخطرن إلا في فـؤاد

قال الخالع: وأصل هذا لأبي تمامٍ:

من كل أزرق نظارٍ بلا نظرٍ إلى المقاتل مافي متنـه أود

كأنه كان ترب الحب مذ زمنٍ فليس يعجزه قلـب ولاكـيد

وعليه وقع المتنبي وسبق إلى ذلك ديك الجن أيضاً في قوله:

قناً تنصب في ثغر التراقـي كما ينصب في المقل الرقاد

وأبيات المتنبي أمثل من الجميع إذا تركت العصبية قال ابن عبد الرحيم: حدثني الخالع قال: كنت مع والدي في سنة ستٍ وأربعين وثلاثمائةٍ وأنا صبي في مجلس الكبوذي في المسجد الذي بين الوراقين والصاغة وهو غاص بالناس، وإذا رجل قد وافى وعليه مرقعة وفي يده سطيحة وركوة ومعه عكاز وهو شعث فسلم على الجماعة بصوتٍ يرفعه ثم قال: أنا رسول فاطمة الزهراء صلوات الله عليها، فقالوا: مرحباً بك وأهلاً ورفعوه فقال: أتعرفون لي أحمد المزوق النائح؟ فقالوا: هاهو جالس، فقال: أتعرفون لي أحمد المزوق النائح؟ فقالوا: هاهو جالس، فقال: رأيت مولاتنا عليها السلام في النوم فقالت لي: امض إلى بغداد واطلبه وقل له نح علي ابني بشعر الناشئ الذي يقول فيه:

بني أحمدٍ قلبي لكم بمثل مصابي فيكم

يتقـطـع ليس يسمع

وكان الناشئ حاضراً فلطم لطماً عظيماً على وجهه وتبعه المزوق والناس كلهم. وكان أشد الناس في ذلك الناشئ ثم المزوق، ثم ناحوا بهذه القصيدة في ذلك اليوم إلى أن صلى الناس الظهر وتقوض المجلس، وجهدوا بالرجل أن يقبل شيئاً منهم فقال: والله لو أعطيت الدنيا ما أخذتها، فإنني لأرى أن أكون رسول مولاتي عليها السلام ثم آخذ عن ذلك عوضاً وانصرف ولم يقبل شيئاً. قال: ومن هذه القصيدة وهي بضعة عشر بيتاً:

عجبت لكم تفنون قتلاً بسـيفـكـم ويسطو عليكم من لكم كان يخضع

كأن رسول الله أوصى بقتـلـكـم وأجسامكم في كل أرضٍ تـوزع

قال: وحدثني الخالع قال: اجتزت بالناشئ يوماً وهو جالس في السراجين فقال لي: قد عملت قصيدةً وقد طلبت وأريد أن تكتبها بخطك حتى أخرجها فقلت: أمضى في حاجة وأعود، وقصدت المكان الذي أردته وجلست فيه فحملتني عيني فرأيت في منامي أبا القاسم عبد العزيز الشطرنجي النائح فقال لي: أحب أن تقوم فتكتب قصيدة الناشئ البائية فإنا قد نحنا بها البارحة بالمشهد، وكان هذا الرجل قد توفي وهو عائد من الزيارة، فقمت ورجعت إليه وقلت: هات البائية حتى أكتبها فقال: من أين علمت أنها بائية؟ وماذكرت بها أحداً، فحدثته بالمنام فبكى وقال: لاشك أن الوقت قد دنا فكتبتها فكان أولها:

رجائي بعيد والممات قـريب ويخطئ ظني والمنون تصيب

ومن شعر الناشئ:

وليل توارى النجم من طول مكثه كما ازور محبوب لخوف رقيبه

كأن الثريا فيه بـاقة نـرجـسٍ يجيء بها ذو صبوةٍ لحـبـيبـه

وله:

وكان عقرب صدغه وقفت لما دنت من نار وجنتـه

قرأت بخط بديع بن عبد الله الهمذاني فيما قرأه علي ابن فارسٍ اللغوي: سمعت أبا الحسين الناشئ علي بن عبد الله بن وصيفٍ بمدينة السلام قال: حضرت مجلس أبي الحسين بن المغلس الفقيه فانقلبت محبرة لبعض من حضرعلى ثيابي، فدخل أبو الحسين وحمل إلى قميصا دبيقياً ورداءً حسناً. قال: فأخذتهما ورجعت إلى بيتي وغسلت ثيابي ولبستهما ورددت القميص والرداء إلى أبي الحسين. فلما رآهما غضب غضباً شديداً وقال: ألبسهما لولا أنك تتوشح بالأدب لجفوتك. وهذه حكاية وجدتها بعد أخبار الناشئ بخط المصنف: قرأت في كتاب محمد بن أبي الأزهر في عقلاء

المجانين: حدثني علي بن ابراهيم بن موسى الكاتب قال: كنت يوماً جالساً في صحن داري إذا حجارة قد سقطت بالقرب مني، فبادرت هارباً وأمرت الغلام بالصعود إلى السطوح والنظر من أين أتتنا الحجارة؟ فرجع إلى وقال لي: يامولاي امرأة من دار ابن الرومي الشاعر تقول: الله الله فينا، اسقونا ماء وإلا متنا عطشاً، فإن الباب علينا مقفل منذ ثلاثة أيامٍ بسبب تطير صاحبنا، فإنه يلبس ثيابه في كل يومٍ ويتعوذ ويقرأ ثم يصير إلى الباب والمفتاح معه، فيضع عينه على خللٍ من الباب فتقع على جار له نازلٍ بإزائه وكان أعور، فإذا بصر به رجع وخلع ثيابه وترك الباب على حاله سائر يومه وليلته. فدفع إليها ماطلبته، فلمامات كان من غدٍ وجهت بخادم لي اسمه طاهر، وكان ابن الرومي يعرف وأمرته أن يجلس على بابه وتقدمت إلى بعض الغلمان في المصير إلى الأعور برسالتي ومسألته المصير إلى، فلما زال الرجل عن موضعه دق الخادم الباب على ابن الرومي وخاطبه وسأله المصير إلى أيضا. قال الخادم: فخرج فوضع عينه على ذلك الموضع فوقعت عينه علي ولم ير جاره ففتح الباب وخرج لاتقلع عينه عن النظر إلى، ولايصرف كلامه إلا إلى ناحيتي.

قال علي بن ابراهيم: فإني لجالس أنتظره، وقد انصرف الأعور إذ وافاني أبو خديجة الطرسوسي، وكان في ناحية اسماعيل بن اسحاق القاضي، وقد دفع إليه المعتضد برذعة ليوصله إلى الحسن ابنه ليتولى تسليمه إلى ابن راشدٍ، فنحن نتحدث إذ دخل ابن الرومي مع الخادم علينا، فلما تخطى عتبة باب الصحن عثر فانقطع شسع نعله فأخذها بيده ودخل مذعوراً، فقلت له: أيكون شيء ياأبا الحسن أحسن من خروجك من منزلك على وجه خادمي؟ فقال: لقد لحقني مارأيت من العثرة لأني أفكرت إن به عاهةً، قلت: وماهي؟ قال: هو مجبوب، فقال برذعة الموسوس: وشيخنا يتطير؟ قلت: نعم ويفرط، قال: ومن هو؟ قلت: هذا علي بن الرومي الكاتب، قال: الشاعر؟ قلت: نعم، فأقبل عليه فقال:

ولما رأيت الدهر بتفريق مابيني وبين

يؤذن صـرفـه الـحـبـائب
رجعت إلى نفسي ركوب جميل الصبر
فوطنتها عـلـى عند النـوائب
ومن صحب الدنيا فأيامه محفوفة
على جور حكمها بـالـمـصـائب
فخذ خلسةً من كل وكن حذراً من
يومٍ تـعـيشـه كامنات العواقـب
ودع عنك ذكر ألفاً تطير جارٍ أو تفـاؤل
والزجر واطرح صـاحـب

فرأيت ابن الرومي شبيهاً بالباهت ولم أدر أنه قد شغل قلبه بحفظ الأبيات، ثم نهض برذعه وأبو خديجة معه فقال له ابن الرومي: والله لاتطيرت بعد هذا، فأقام عندي وكتبت هذه الأبيات من حفظه وزالت عنه الطيرة.